المشرق

المسيح الملك

نظر لاهوتي تاريخي اجتماعي للاب عمانويل رولان اليسوعي

في مثل هذا الاسبوع السابق لعيد الفصح وفي صباح يوم جمعة الآلام فاه الربُّ يسوع بتلك الآية التي لم يخشَ الاعلان بها أمام ممثل قيصر اذ سألهُ بيلاطوس (يوحنا ١٩: ٣٧): «أفملكٌ انت؟ اجابه يسوع: انتَ قلت انّي ملكٌ». والعجبُ في ذلك إنهُ صرّح بملكهِ في ساعةٍ كان يعلم انَّ كلمةً كهذه تكون سبباً لموتهِ كما انَّ تصريحهُ امام مجمع اليهود بكونهِ ابن الله عُدَّ كافياً للحكم عليهِ بالاعدام (متى ٢٦: ٦٦). واعجب منهُ انهُ هو الذي كان يأنف من كلّ آيةٍ وشرف في حياتهِ اراد في هذا المقام الرسميّ بازاء العالمَين الدينيّ اليهوديّ والمدنيّ الروماني ان يجاهر بحقوق ملكهِ ويقرّرها على رؤوس الأشهاد مهما عرَّضهُ ذلك الى بغض اعدائهِ والى الموت عينهِ. وكأنَّ بيلاطس لمَّا وضع فوق رأسهِ عنوانهُ «يسوع الناصري ملك اليهود» لم يفعل الّا مدفوعاً بإرادة علويّة. واذ الحَّ عليهِ اليهود بان يغيّر تلك الكتابة صرفهم قائلاً: «ما كتبتُ فقد كتبتُ»

فبكلّ حقّ اذن تقدَّم الحبر الأعظم بيوس الحادي عشر الى العالم الكاثوليكي بان يُقام عيد خاصّ للسيد المسيح الملك ونشر في ذلك براءة محكمة البناء ساطعة الادلّة أيّد بها حقيقة ملك السيّد المسيح وألحقها بامرهِ المطاع ان يُحتفَل بهذا العيد في سائر كنائس العمور. وها نحن نتقصّى آثار إمام الاحبار ونفرّد لهذا الموضوع الصفحات التالية

أ السيد المسيح موعود كملك في العهد العتيق

كما سبقت الاسفار المقدّسة في العهد العتيق فتنبأت على كل احوال السيد المسيح في حياته وممانه وقيامته كذلك صرّحت جهارًا بانّهُ سيكون ملكاً

﴿شهادة موسى﴾ فهذه كتب موسى سبقت الجميع في الشهادة على ملك المسيح. ففي سفر العدد (٢٤: ١٩) يُدعى «المتسلّط الذي من يعقوب»

﴿مزامير داود﴾ وفي مزامير داود يوصف ملك المسيح وصفاً مدقّقاً لا يصلح لغيره. فانّهُ في المزمور الثاني بعد ذكر انتصار الشعوب «على الربّ وعلى مسيحه» يوجّه الربّ الاله الكلام الى المسيح بقوله: «اني مسحتُ مَلكي على صهيون جبل قدسي. قال لي: انت ابني وانا اليوم ولدتك سَلْني فأُعطيكَ الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك». ومثلهُ صراحةً المزمور ٤٤ حيث يصف داود المسيح كملكٍ جبّار وينعتهُ بالجلال والبهاء والعدل ويطريّ قوّتهُ بانتصاره على الشعوب ويذكر سيفهُ على فخذهِ ونبالهُ المسنونة التي يرشق بها اعداءهُ فيسقطون امامهُ. ثم يخاطبهُ كالهٍ وكملكٍ معاً بقوله: «عرشُك يا الله الى الدهر والابد وصولجانُ مُلكك صولجان استقامة». وكذلك اتّسع داود في المسيح الملك في مزموره ال ٧١ فوصفهُ بما لا ينطبق على اي ملك من الارض فتنبأ عنهُ «انهُ سيملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقصى الارض» (ع٧) وانهُ «تسجد لهُ جميع الملوك وتتعبّد لهُ كل الامم» (ع ١١ وان اعداءهُ «يلحسونهُ ما دامت الشمس والقمر الى جيل الاجيال» (ع ٥) وانّ «اسمهُ يكون الى الابد. ما دامت الشمس يدوم اسمهُ. ويتبارك فيهِ جميع قبائل الارض وتغبطهُ كلّ الامم» (ع ١٧). فهذه آيات أولى ان تُدعى تأريخاً منها نبوّةً

﴿الانبياء﴾ وما قولنا بنبوّات اشعيا وارميا ودانيال وغيرهم. فهذا اشعيا (٩: ٦—٧) اذ يصف ميلاد المسيح يخصّهُ باللاهوت والرئاسة والملك الى الابد فيقول: «وُلد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً جبّاراً ابا الابد ورئيس السلام لنموّ الرئاسة والسلام لا انقضاء لهُ على عرش داود ومملكتهِ ليقرّها ويوطّدها بالانصاف والعدل الى الابد». فقد اتّفق كلُّ مفسّري هذه الآية من يهود ونصارى على انّها قيلت في المسيح وحدهُ

ويجاريه ارميا فيقول (٢٣: ٥): ستأتي أيام يقول الربّ أقيم فيها لداود نبتاً صديقاً ويملكُ ملكٌ يكون حكيماً ويجري الحكم والعدل في الارض . . . . ولا يخالفها دانيال اذ فسّر حلم نبوكدنصّر فقال انّ الحجر الذي صدم التمثال الذي رآه فسحقهُ (٢: ٤٤) انّما هو رمزٌ عن مملكة المسيح التي لا تُنقض الى الابد «فتسحق وتُفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد» . ثم كرّر الامر باجلى بيان كما رآهُ فقال (٧: ١٢ــ١٣): ورأيت في رؤى الليل واذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء فبلغ الى قديم الايام . . . وأُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض» وقام بعدهم زكريّا ووصف دخول المسيح الملك اورشليم في احد الشعانين بقولهِ (٩: ٩): «ابتهجي جدًّا يا بنتَ صهيون . . . هوذا ملككِ يأتيك صدّيقاً مخلّصاً وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان»

٢ تُثبت ملكهُ آيات العهد الجديد

وما العهد الجديد إلّا تحقيق مواعيد العهد العتيق وصداهُ وكشف الستار عن رموزهِ . فما كادت انوارهُ تلوح حتى بُشّر بالمسيح كملك

﴿الانجيل﴾ وذلك في اصرح ما يكون من الكلام في خطاب الملاك جبرائيل لمريم العذراء اذ بشّرها بمولد ابنها يسوع قائلًا عنهُ (لوقا ١: ٣٢): «وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى وسيعطيهِ الربّ الاله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء»

وما لبث ملوك الامم ان اتوهُ طالبين «اين هو المولود ملك اليهود» ومقدّمين لهُ هدايا الملوك ذهباً ولباناً ومرًّا (متى ٢) محقّقين نبوّةَ داود القائل (مز ٧٢: ١٠): «ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الهدايا. ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ العطايا» ونبوّةَ اشعيا (٦٠: ٦): «كلُّهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً يبشّرون بتسابيح الربّ» . وهكذا عرفهُ ليل اسرائيل منذ ظهورهِ . فان نتنائيل لمّا اتى بهِ فيلبّوس الى المسيح ورأى شيئاً من آياتهِ صرخ قائلًا (يوحنا ١: ٤٩): «يا معلّم انت ابنُ الله انت ملك اسرائيل» . وكذلك الشعب لمّا رأوا كيف قات بخمسة ارغفة من الخبز وبسمكتين

الوفاً من الناس اعترفوا بأنهُ هو النبيّ الآتي الى العالم وحاولوا ان يقيموهُ ملكاً لولا فرارهُ منهم وانصرافهُ وحدهُ الى الجبل (يوحنا ٦ : ١٤ ــ ١٥)

وقد سبق انهُ اعترف امام بيلاطوس بكونهِ ملكاً الّا انهُ بيّن انَّ ملكهُ ليس كملك بقيّة ملوك الارض يختارهم البشر بل هو من السماء. فقال (يوحنا ١٨ : ٣٦) : « انَّ مملكتي ليست من هذا العالم ». واقرَّ بيلاطوس بملكهِ اوّلاً اذا اجاب اليهود الطالبين صَلبهُ (يوحنا ١٩ : ١٥) : « أأصلبُ مَلِككم ؟ » ثم اعلن بملكهِ بالعنوان الذي وضعهُ على صليبهِ وان لم يدرك سرّ كتابتهِ. كما انَّ الجند الهازئين بهِ اذ كلّلوهُ بالشوك والبسوهُ ثوباً من الارجوان وأقبلوا اليهِ قائلين: السلام يا ملك اليهود (يوحنا ١٩ : ٢ ــ ٣) انما كانوا يقرّون من حيث لا يدرون بملكهِ

﴿كتابات الرسل﴾ فلو تخطّينا من الانجيل الطاهر الى كتابات الرسل لوجدنا هذه الحقيقة مكرَّرة في رسائلهم لا يرتابون في صحّتها

فهذا (سفر اعمال الرسل) يدلّ في فصلهِ الاوّل ما كان يشغل افكار تلامذة المسيح فانهم قبل صعود الربّ اذ كان يظهر لهم ويكلّمهم بما يختصّ بملكوت الله اعربوا عن خواطر قلبهم فسألوهُ (١ : ٦) : « يا ربّ أفي هذا الزمان تردّ الملك في اسرائيل » فلو لم يعرفوا انهُ ملك لَما ألقوا عليهِ هذا السؤال

وهذا (الرسول بولس) يعلن بملكهِ المطلق والعمومي فيقول في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس (٦ : ١٤ ــ ١٥) ان يسوع المسيح «هو وحدهُ ملك الملوك وربّ الارباب ولهُ وحدهُ الخلود». وقد رأى يوحنا في سفر الرؤيا (١٩ : ١٦) هذه الآية عينها «مكتوبةً على ثوبهِ وعلى فخذهِ»

وفي موضع آخر (١ كور ١٥ : ٢٥) يؤكد بولس الرسول انهُ «لا بدَّ ان يملك المسيح حتى يضع جميع اعدائهِ تحت قدمَيهِ» مشيراً الى قول داود بالنبوَّة فيهِ (مز ١٠٩ : ١) : قال الربّ لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك

وهذا (بطرس الرسول) يدعو المسيحيين في رسالتهِ الاولى (٢ : ٩) «أمّةً مختارة وكهنوتاً ملوكيّاً» فلولا اعتقادهُ بالمسيح كذلك لَما صدقَ قولهُ

ومثلها يوحنا في سفر الرؤيا (١١ : ١٥) فقد اخبر انهُ سمع في السماء اصواتاً عظيمة تقول: «ان مُلك العالم قد صار لربّنا ولمسيحهِ فهو يملك الى دهر الدهور»

٣ المسيح الملك في التاريخ والطقوس

انَّ التاريخ كما الطقوس الكنسيَّة تشهد على ملك المسيح . فامَّا التاريخ فلسانُ حالهِ فنُّ التصوير فاذا استقريتَ صور السيد المسيح مباشرةً من زماننا هذا الى عهد الديامبس وجدت المصوّرين يتفنّنون في تمثيلهم المسيح كملك . فقد صوَّروهُ بهيئة الملك على رأسهِ تاج الملوك وفي يمناهُ الصولجان وهو جالس على عرش الملوك وأمامهُ الملائكة والبشر ساجدين . وربَّما صوَّروهُ وفي يدهِ الكرة الارضيَّة دلالةً الى سلطانهِ المطلق (اطلب هذه الصورة في رأس هذا العدد) وحيناً يمثلونهُ في يوم الدين الاخير حين يجلس على عرش مجدهِ كملك وجميع الملائكة معهُ ليدين البشر . كما جاء في متى (٢٥ : ٣١)

وفي المتاحف الدوليَّة عدَّة ادوات من المعادن الثمينة كتيجان وصوالج كانت صيغت لتُجعل على هامة السيّد المسيح وفي يدهِ . ومثالها صور قديمة معدنيَّةٌ من ذهب وفضة وعاج كانت ترصَّع بها الاناجيل في الكنائس يمثَّل بها المسيح في هيئة الملوك

وناهيك عن المنسوجات الجميلة والمطرَّزة بضروب الاسلاك الفضيَّة والذهبيَّة والنقوش الملوَّنة والمزركشة والشارات الملكيَّة التي تلوح على شخص السيّد المسيح . ومنها مثال لطيف غالي الثمن يرقى الى عدَّة اجيال في مكتبتنا الشرقيَّة

ويطول بنا الكلام لو استقرينا ما كتبهُ الآباء تباعاً من اوَّل اجيال الكنيسة الى القرون الوسطى عن ملك المسيح

وما قولنا بالطقوس الكنسيَّة الشرقيَّة والغربيَّة فانَّها مُفعَمة بالتسابيح المطنِّبة لاقنوم السيد المسيح كإلهٍ وملكٍ معاً . فالكنيسة الغربيَّة مثلاً تفتتح التسابيح المقدَّمة على فرائضها الدينيَّة باستدعاء المؤمنين كل يوم للسجود للسيّد المسيح إمَّا كملك الملائكة او كملك الرسل او الشهداء او المعترفين او العذارى على اختلاف اعياد أيام السنة . وقس عليهِ صلواتها وتسابيحها النثريَّة والنظميَّة في كل ادوار العام الكنسي

وليست الكنائس الشرقيَّة لتشذّ عن هذه القاعدة فان اعتقادها بملك المسيح يجاري ايمانها بلاهوتهِ مهما اختلفت فرائضها وطقوسها ولغاتها وهي كلُّها قد استقت هذا التعليم من المناهل الرسوليَّة التي رويناها سابقاً

٤ خواصّ ملك السيّد المسيح

لا ريب اذن في كون السيّد المسيح ملكاً بل ملك الملوك ولكن يا تُرى ما هي ميزة هذا الملك ؟ فهل مُلكهُ كملك سلاطين الارض ورؤسائها ؟ فجوابنا على ذلك ان ملك السيّد المسيح يمتاز عن سواهُ ويفوقهُ فوقاً عظيماً

واوّل ميزاتهِ اصلهُ . فان كانت على قول الرسول الامناء المصطفى (رومية ١٣ : ١) «كل سلطة من الله» . فان السلطة البشريّة تُعزى الى الله بالتوسّط ليست هي تولّا من الله . امّا سلطة السيد المسيح هي تولّا من ابيهِ السماوي ولذلك يقول لبيلاطوس : «ان مملكتي ليست من هذا العالم» . وان اردت ان تعرف ما هو اساس ذاك السلطان العجيب فتجده في اتّحاد طبيعتي السيّد المسيح الالهيّة والانسانيّة في وحدة اقنومهِ الالهي . فبمجرّد هذا الاتحاد حاز من ابيهِ السماوي السلطان على الخلائق باسرها

ويمتاز ثانياً ملك السيّد المسيح عن ملك البشر بكونهِ مطلقاً وذلك ما اشار اليهِ بقولهِ للرسل قبل صعودهِ (متى ٢٨ : ١٨) : «قد أُعطيتُ كلّ سلطان في السماء والارض» . فبقولهُ «كلّ سلطان» اثبتَ ان لا شيء يحصر سلطتهُ ويحدّدها وبقولهِ «في السماء والارض» اراد امتدادها الى كل مكان . ثمّ دلّ على ثباتها الى آخر الازمنة بقال (ع ٢٠) : «ها انا معكم كلّ الايّام الى منتهى الدهور»

وبما انّ السلطان لا يكون مطلقاً ما لم يحتوِ على السُّلطات الثلث اعني السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة فلا بُدّ من القول ان المسيح قد تولّاها كما تشهد عليهِ اعمالهُ في سني تبشيرهِ فانه وضع عدّة سنَن وشرائع هي اساس الدين المسيحي . وامر بالخضوع لها تحت ظائلة العقاب مصرّحاً بان كل الحكم قد أُعطي لهُ من الاب (يوحنّا ١٥ : ٢٢) ويجرياً ذلك الحكم في يوم الدينونة بمجازاة الابرار وعقوبة الاشرار (متى ٢٥ : ٣١ــ٤٦)

وللملكهِ ميزة ثالثة وهي انّها تتناول كل الشعوب ليس التنصّرين فقط من ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة او من الذين انشقّوا عنها بالبدَع والعصيان بل كل الامم مهما كانت عناصرها واجناسها فانّ الاب السماوي قد اعطاها كلّها المسيح كميراث وقد بيّن الامر الملكُ والنبي داود في مزمورهِ الثاني حيث يروي كلام الله الى مسيحهِ

فيقول (٢ : ٧) : «قال لي انت ابني انا اليوم ولدتك سلني فأعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك» وقد استحق السيد المسيح هذه السلطة السامية بوجه آخر لأنه افتدى جميع البشر من الهلاك باراقة دمه فانتقذهم من تبعة الخطيئة الجدّية

ويمتاز اخيراً ملك السيد المسيح بغايته الشريفة فان الملوك جعلت السلطة في يدهم لتدبير امور رعاياهم الزمنيّة وتنظيم احوالهم في المعيشة الاجتماعيّة ولا سلطة لهم على النفوس إلّا عرَضاً. بخلاف ملك السيد المسيح فان غايته الاولى تدبير النفوس وتقديسها وتنوير العقول بمعرفة الله سبحانهُ وتعالى وتسليم وصاياهُ وبها يبلغ البشر الى سعادتهم الابديّة. وهذه السلطة تتناول ايضاً ثانويًا احوال البشر المادّية التي يترك تدبيرها لارباب العالم تحت مراقبته العليا

٥ كيف يتمّ ملكُ السيد المسيح

يتمّ ملك السيد المسيح بنوعين: بفعله الخاص ثمّ بواسطة كنيسته

اما (فعلهُ الخاص) فيجري في القلوب بما يُفيض عليها من النعم فيأسرها بحبه ويدفعها الى القداسة والعيشة بالله. وهذه النعم يسبغها الربّ خصوصاً باسراره الحيّة بالمعموديّة والتثبيت والتوبة ولا سيما سرّ محبّته في القربان. واذا دخلت النعمة في النفس أصبحت مشاركةً للاهوت وصارت هيكلاً حيًّا للروح القدس فيحلّ فيها الربّ كما قال (يوحنّا ١٤ : ٢٣) : «ان احبّني احدٌ يحفظ كلمتي وابي يحبّهُ واليه نأتي ونعمل مقاماً». ويستطيع الانسان اذ ذاك ان يقول مع الرسول بولس (غلاطية ٢ : ٢٠) : «انا حيّ لا انا بل انّما المسيح حيٌّ فيَّ»

واذا اتّحد الانسان بالمسيح وحيَ به (يوحنّا ٦ : ٥٨) اسرع الى كل عمل صالح ولا تعوقهُ المشقّات ونكبات الحياة الحاضرة اذ يستمدّ قوّتهُ من الله فيردّد آية الرسول (فيلبي ٤ : ١٧) : «اني استطيع كلّ شيء في الذي يقويني». بل يزيد فرحهُ مع ازدياد شدائد الحياة كما قال (٢ كور ١٢ : ٩) : «فبكل سرور افتخر بأوهاني لتستقرّ فيَّ قوّة المسيح. فلذلك أرتضي بالاوهان والشتائم والضرورات والاضطهادات والشدائد لاجل المسيح لاني متى ضعفتُ فحينئذٍ انا قويٌّ»

وهذا ملكُ المسيح على النفوس هو مُلكُ محبّته لان الله محبّةٌ هو (١ يوحنا ٤ :

١٦) ومركز محبّة الله في قلب يسوع الاقدس « فمنهُ «تصدر كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة» (يعقوب ١ : ١٧) واذا تملّك على قلب الانسان اجتذبهُ الى كلّ كمال فينير عقلهُ لانهُ هو مالك العقول والحقّ بالذات ويقوّي إرادتهُ لان في يدهِ مفتاح القلوب فيجتذبها بحسناتهِ وتجري وراءهُ مبتهجةً بأدهانهِ الطيّبة العَرف (نشيد ١ : ٢ — ٣) الى يوم وداع الرء لهذه الحياة فيدخل فرح سيّده في الاخدار الابديّة

وامّا (توسّط الكنيسة) فلأنّ المسيح اقامها على الارض لتنوب عنهُ بازاء الشعوب ووكّل اليها نشر ملكهِ على الارض فتنشرهُ بدعوة الامم الى الدين الحقّ وفقاً لامرهِ الى رسُلهِ: «اذهبوا وتلمذوا كل الامم . . . وعلّموهم كلّ ما اوصيتكم بهِ» (متى ٢٨ : ١٩). وهذه الوصيّة المحتومة عليها تقوم بها بواسطة مبشّريها في كل انحاء المعمور ولا يسوغ لاحد من البشر ان يصدّها عن بلوغ هذه الغاية. لانّها ان لم تفعل كانت مسئولة عن إهمالها كما قال القديس بولس (١ كور ٩ : ١٦): «اني ان بشّرتُ فليس لي فخرٌ لان ذلك ضرورةٌ موضوعةٌ عليّ والويلُ لي ان لم أُبشّر»

فعلى الكنيسة ان تُقرّر ملكَ المسيح في المجتمع البشري مباشرةً بالعائلة التي هي نواة ذلك المجتمع فتسهر على صلاحها بتقديس سرّ الزواج وبتربية الاولاد الصالحة وتأسيسهم في مبادئ الفضيلة والدين والسّهر عليهم في ايّام تثقيفهم بالآداب والعلوم لئلّا يُدخلهم اهلهم في مدارس فاسدة او لادينيّة فيفقدوا ايمانهم وبراءتهم

وكما تراقب الكنيسة العائلة كذلك تسعى الى مراقبة السلطات المدنيّة لتسعى على قدر استطاعتها كلّ ما يجحف بحقوق الدين وتدعم ملك السيد المسيح الذي وحدهُ يستطيع ان يمنح الهيئة الاجتماعيّة الراحة والسلام وقد قال احد الآباء وهو نِعم القول: «ان المسيح هو ركنُ كل مجتمع انساني وبهِ يُحلُّ كلُّ مُشكل في جماعة البشر». ولهذا لا نُدحة من توطيد ملكهِ ليحصل البشر على ما يؤملون من الرقي والامان. ولمّا كان مُلك المسيح مُلكَ حُبّ وإحسانٍ والحبُّ والاحسان يفيضان من قلبهِ يجب ان يملك قلبهُ على العالم كما اوحى الى القديسة مرغريتا مريم فقال لها: «اني اريد ان أملك. وإن عارضني اعدائي في تمليكي ملكتُ على الرغم منهم . . .» ولا خوف على البشر من ملكهِ فانّهُ هو لخيرهم ولسعادتهم ليس الّا وبقدر ما يزيد نفوذهُ يزيد ايضاً سعدهم ولهذا السبب روّجت الكنيسة تكريس الامم باجمعها لقلب يسوع وقرّرهُ

الطيب الذكر البابا لاون الثالث عشر في مفتتح القرن العشرين اذ كرّس العالم بتمامه الى قلب يسوع. وقام ارباب عدّة دول وجمعيات فكرّسوا في العالمين دُوَلهم وسعيًا لهذا القلب الالهي. وانتشرت اليوم في انحاء العالم الكاثوليكي عادة تكريس العيال لقلب يسوع فبلغ عددها عدّة ملايين ممّن نصبوا في بيوتهم صورتهُ واتخذوهُ كشفيع أُسرهم وكملكهم الخاص

وما كان هذا كلّهُ إلّا تمهيدًا الى ما تقدّم بهِ آخرًا قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بان يُحتفل بعيدٍ خصوصي للسيد المسيح بصفة كونهِ ملكاً على العالم

٦ العيد الجديد للمسيح الملك

ليست الاعياد الجديدة في الكنيسة بدعةً لانَّ الكنيسة ليست جسماً ميتاً كاجساد الفراعنة المحنَّطة الباقية على حالها بلا نموّ ولا حراك وانّما هي جسمٌ حيّ ادبي ديني ينتذي وينمو بكل ما يُنعش روح الدين. وعلى هذا جرى الاحبار الرومانيون في توالي الدهور اذا ما رأوا ما يوجب انشاء اعياد جديدة كما فعلوا اذ اقاموا عيدًا خصوصيًا تتذكار جسد الربّ ولاكرام قلبهِ الاقدس استنادًا الى ما اوحى بهِ الله الى بعض اوليائهِ. فلا عجب بان فكّر الحبر الاعظم الجالس سعيدًا على كرسي خلافة بطرس الرسول في اقامة عيدٍ للمسيح الملك في سائر الكنائس لاسباب صوابيّة هي غاية في المناسبة

وذلك اوّلًا لمناهضة ما شاع في عهدنا من روح الاستبداد والحرّية المفرطة فلا نسمع إلّا اصوات المتظلّمين من السلطة الطالبين الاستعمار الداعين الى كسر نير العبوديّة. فالكنيسة اذ تعرض عليهم إكرام المسيح الملك توحي اليهم بسلطة الهيّة لا ندحة من الخضوع لها سلطة الخالق على خليقتهِ سلطة لينة النير خفيفة الحمل (متى ١١: ٣٠) اليها مرجع كل سلطة بشريّة والتي وحدها تحرّر الانسان بمعرفة الحقّ كما قال الربّ (يوحنا ٨: ٣٢) : «وتعرفون الحقّ والحق يحرّركم». فاذا خضع الانسان لهذا الملك لا ينالهُ من طاعتهِ أدنى ذلّ واحتقار بل على خلاف ذلك يتنصّل من عبوديّة الشهوات ويخدم ذاك الذي تُشرّف خدمتهُ كلّ المخلوقات لان خدمة الله كما قال كتاب الاقتداء بالمسيح هي الملوكيّة بالذات

ثمّ في ملوكيّة المسيح صورةٌ حيّة صادقة لما استحبّهُ البشر في بعض كبار الملوك من جلال وعظمة وسلطان مع رقّة وانعطاف وبرّ على المرؤوسين وتفانٍ في سبيل

نجاحهم ورقيهم وعدم مراعاة للاشخاص فكل هذه الصفات التي قلّما وُجدت في ملوك الارض تجدها في اقصى كمالها في شخص السيّد المسيح الذي بفدائه للبشر ربح محبّتهم وبصليبه اجتذبهم اليه (يوحنا ١٢ : ٣٢) ولذلك تسبح الكنيسة وتنشد في يوم جمعة الآلام «ان الله قد ملك على الشعوب بخشبة صليبه»

ومن اعظم الاسباب التي دفعت الحبر الاعظم الى انشاء هذا العيد عيد المسيح الملك الاحتجاج على روح العصر الجديد الذي ينبذ كلّ وحي وكل دين لإثبات ما يدعونهُ بالعلمانيّة فيجعلون هذه الكلمة كشعار يقصدون منه انكار ما للسيّد المسيح من السلطان على الشعوب ومناهضة الكنيسة ليصدُّوها عمّا أُعطيَت من الحقوق لتعليم الامم وسنّ الشرائع وإدارة الشعوب لتقودهم الى السعادة الابديّة . وقد بيّن إمام الاحبار في رسالته العامّة ما في مُناصرة العلمانيّة من غضّ ديانة السيد المسيح اذ يُنزلها العلمانيُّون منزلة الديانات الباطلة ويجعلونها وإيّاها في مستوًى واحد ثمّ يحاولون إخضاعها للسلطة المدنيّة وقد بلغت بهم القحة الى أن حاولوا ان يجرّدوا الحكومة من كل دين ويُلغوا من رسومها اسمهُ تعالى عزّ وجلّ وبذلك فتحوا باباً واسعاً للاثم والمشاغب وذكّوا اساس المدنية الاجتماعيّة التي تستمدُّ من الله كل قوّتها

فترى باي صواب وباي حكمة قام الحبر الاعظم ليناصب هذا الروح الفاسد بانشائه عيد المسيح الملك وقرّر تعييدهُ بكلّ رونق في اربعة اقطار العالم واختار للاحتفال به الاحد الاخير من تشرين الاوّل لان به توشك ان تُختَم السنة الطقسيّة التي تبتدئ في الكنيسة في غرّة تشرين الثاني . فيكون عيد المسيح الملك كختام كل اسرار حياته التي يُتمّ الاحتفالُ بها على توالي أيّام السنة فيصبح كعيد مُجمَل لها جميعاً ومتمّم لتفاصيلها

ثمّ انهُ بوقوعه في هذا الاحد يسبق عيد جميع القديسين الواقع في غرّة تشرين الثاني فيكون للمسيح التصدُّر على سائر عبيده واوليائه يتقدّمهم كرأسهم الاعظم

فعسى ان يكون لهذا العيد الجديد ما يستحقُّهُ من الاقبال والأبهة فيزرع في القلوب اشرف العواطف من الحبّ والتقى لذاك الذي هو «الالف والياء والبداية والنهاية والاوّل والآخر» (رؤيا ٢٢ : ١٣) له وحدهُ العزّ والمجد والسجود الى ابد الدهور

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٢٩ هبة الله ابن التلميذ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (١ : ٢٥٩) : « هو الأجلّ موفّق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العلاء » وفي تراجم الاعيان لابن خلكان ٢ : ٢٥٢ : بن ابي الغنائم) صاعد بن ابرهيم (وفي ابن خلكان : صاعد بن هبة الله بن ابرهيم بن عليّ) بن التلميذ . وقد لُقّب ايضاً بسلطان الحكماء كما روى عماد الدين الاصفهاني في الخريدة . وقال ابن ظافر الازديّ في بدائع البدائع (ص ٥٤) : « هو المعروف بابن التلميذ . وانّما امُّهُ من بنات التلميذ فعُرف بذلك » . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٤٠) : « وابن التلميذ هو جدُّهُ لأُمّهِ والحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيى هو ابن بنتهِ فنُسب اليهِ » وقال ابن ابي اصيبعة عن والد هبة الله : « وكان ابو امين الدولة وهو ابو العلاء صاعد طبيباً فاضلاً مشهوراً » . وقال في محلّ آخر (١ : ٢٧٦) : « وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب » . وزاد على قولهِ فيهِ : « واكثر اهلهِ كتّاب » . وذكرهُ عمرو بن متى في اخبار فطاركة كرسيّ المشرق من كتاب المجدل (ص ١٠٣) ودعاهُ « بالطبيب الفياتي »

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ كان اصل امين الدولة من بغداد . فيها كان مولدهُ نحو السنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م) . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٤) : « وكانت وفاة امين الدولة ببغداد في ٢٨ من شهر ربيع الاوّل سنة ٥٦٠ (شباط ١١٦٤) . اما عماد الاصفهاني فجعل وفاتهُ في صفر من تلك السنة . قال في خريدة القصر : « هلك ابن التلميذ

الطبيب النصراني بصفر سنة ٥٦٠ هـ وقد ناهز المئة وعاش الى زماننا ورأيتُهُ وهو شيخ . . . »

امّا دينهُ النصراني فلا يشكّ فيهِ احدٌ. قال ابن ابي اصيبعة : « ومات نصرانيًا » وقال عمرو بن متى في المجدل (ص ١٠٦) في ترجمة البطريرك ايشوعياب : « وفي ايامهِ توفي امين الدولة ابن التلميذ رضي الله عنهُ ودُفن في الصحن الداخلاني ببيعة العتيقة » . ويتّضح من ذلك انهُ كان نسطوريًا . وقال ابن الازرق الفارقيّ في تاريخهِ : « مات ابن التلميذ في عيد النصارى » . وقال جمال الدين القفطي : توفي وذهنهُ بحالهِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة : « كان ابن التلميذ في اوّل امرهِ قد سافر الى العجم وبقي بها في الخدَم سنين كثيرة ، ثمّ عاد الى بغداد . واما توفي يحيى بن التلميذ قام امين الدولة مقامهُ وهو ابن بنتهِ وخدم الخلفاء والملوك واتخذه الخليفة المقتفي بالله (٥٣٠ــ٥٥٥ هـ = ١١٣٦ــ١١٦٠ م) كطبيبهِ الخاصّ وجعل لهُ راتبًا بدار القوارير فقطعهُ الوزير عون الدين بن هبيرة ولم يعلم الخليفة بقطعهِ حتى اشار الى ذلك ابن التلميذ اشارةً لطيفة اذ قال لهُ الخليفة يومًا : قد كبرتَ يا حكيم . فاجابه : « نعم يا مولانا وتكسّرت قواريري » فادرك الخليفة بعد البحث سرّ جوابهِ وتقدّم برد راتبهِ بدار القوارير عليهِ وزادهُ اقطاعًا آخر (تاريخ الحكماء ص ١٤١) . وأُقيم ساعورًا اي رئيسًا على البيمارستان الكبير في بغداد المعروف بالبيمارستان العَضُدي المنسوب الى عضد الدولة ابن بويه الى حين وفاتهِ . وخدم ابنُ التلميذ بعد وفاة المقتفي ابنهُ المستنجد . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٣٦٢) : « كانت دار امين الدولة التي يسكنها في بغداد في سوق العطر مما يلي بابهُ المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظّمة بالشرعة النازلة الى شاطئ دجلة »

﴿مقامهُ وعلومهُ وفضائلهُ﴾ قد اتّسع الكتبة في وصف هبة الله ابن التلميذ واطنبوا في فضلهِ . قال عماد الدين الاصبهاني في الخريدة :

« هو مقصدُ العالم في علم الطبّ بقراطُ عصرهِ وجالينوس زمانهِ خُتم بهِ هذا العلم ولم يكن في الماضين مَن بلغ مداهُ في الطبّ . عمّر ابن التلميذ طويلًا ، وعاش نبيلًا جليلًا ، ورأيتهُ وهو شيخ بهيّ المنظر حسن الرُّواء عذب المُجتلى والمُجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهمّة عالي الهمّة ذكيّ الخاطر مُصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم »

ونقل ابن خلكان (٢ : ٢٥٣) ما ورد عنهُ في كتاب نموذج الاعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع او بالعيان:

«كان ابن التلميذ متفنّناً في العلوم ذا رأي رصين، وعقل متين، طالت خدمتهُ للخلفاء والملوك، وكانت منادمتهُ احسن من التبر المسبوك، والدرّ في السلوك، اجتمعتُ بهِ مرارًا في آخر عمرهِ، وكنتُ أعجَب في امرهِ، كيف حُرم الإسلام مع كمال فهمهِ، وغزارة علمهِ وعلمهِ، والله يهدي من يشاء بفضله، ويُضلّ من يريد بحكمهِ، وكان اذا ترسّل استطال وسطًا، وان نظم وقع بين ارباب النظم وسطًا»

ونقل ابن ابي اصيبعة عن موفّق الدين البغدادي في هبة الله ابن التلميذ ما يدلّ على مروءتهِ ونزاهتهِ وعظم نفسهِ قال:

«كان ابن التلميذ حسن العشرة كريم الاخلاق عنده سخاء ومروّة واعمال في الطب مشهورة وحدوس صائبة... قال ومن مروّتهِ انّ كلّ من دارهِ كان يلي المدرسة النظاميّة فاذا مرض فقيهٌ نقلهُ اليهِ وقام في مرضهِ عليهِ. فاذا أبلّ وهب لهُ دينارين فصرفهُ»

ومما حكاهُ عبد اللطيف عن امين الدولة وكأنّهُ قد تجاوز في هذه الحكاية قال:

«وكأن ابن الدولة لا يقبل عطيّةً الّا من خليفة او سلطان فعرض لبعض الملوك النائبة دارهُ مرضٌ مزمن فقيل لهُ: ليس لك الّا ابن التلميذ وهو لا يقصد احدًا. فقال: انا اتوجّه اليهِ. فلما وصل أفرَدَ لهُ ولنلمانهِ دورًا وأفاض عليهِ من الجرايات قدر الكفاية ولبثَ مدّةً. فجرى الملك وتوجّه الى بلادهِ وارسل اليهِ مع بعض التجّار اربعة آلاف درهم واربعة ثوب ثابي واربعة مماليك واربعة افراس. فامتنع من قبولها وقال: انّ عليّ يمينًا ان لا اقبل من احد شيئًا. فقال التاجر: هذا قدرٌ كبير. فقال: «انا لمْ حلفتُ لم أستثنِ». واقام شهرًا يرادهُ وهو لا يزداد الّا اباء وتأيًا. فقال لهُ عند الوداع: ها انا سافر ولا ارجع الى صاحبي واقتّع بالمال فتُقلّد منّتهُ وتفرتك منفعتهُ ولا يعلم احدٌ انك ردَدتهُ. فقال: ألستُ اعلم في نفسي انّي لم أقبلهُ فنفسي تشرُف بذلك عَلِمَ الناس او جهلوا»

وكان ابن التلميذ مع سموّ فضلهِ حسن السَّمت وافر الوقار كثير التواضع. وجرى لهُ مناقشات مع احد حكماء زمانهِ ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا وكان يهوديًا فأسلم وكان معروفًا بالصَّلف والكبرياء على خلاف ابن التلميذ فقال البديع الاسطرلابي فيها:

ابو الحسن الطبيبُ ومثنيهِ ابو البركات في طرَفَيْ نقيض
فذاك من التواضُع في الثريا وهذا بالتكبُّر في الحضيض

ووصف ابو سعيد بن ابي سهل البغدادي ابن التلميذ فقال:

« رأيتُ امين الدولة ابن التلميذ فاجتمعتُ بهِ وكان شيخاً رَبْعَ القامة عريض اللحية حلوَ الشمائل كثير النادرة (قال) وكان يحبُّ صناعة الموسيقى وكان يميل الى اهلها »

ولهُ اخبار كثيرة تدلُّ على براعتهِ في الطبّ وروياناها سابقاً (١

﴿آدابهُ وتآليفهُ﴾ ذكر شهاب الدين العمري سعة معارف ابن التلميذ في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار (نسخة المكتبة الخديويّة ص ٣٣٦) قال في طبقات الاطباء:

« ومنهم امين الدولة ابن التلميذ فَرْد زمانهِ، وندُّ (وفذّ ؟) أقرانهِ، بلغ بعلمهِ مبالغ الأشراف، ووصل في فهمهِ حدَّ الإشراف. وكان يتكلَّم في مجالس الخلفاء منبسطاً، يتقدَّم في مجال السؤال للضعفاء متوسّطاً، لسابقة خدمهِ، وباسقة صُنعهِ في بيت الإمامة دون باقي خدَمهِ، ولم تجلّت بهِ شيمتُهُ من مآثر، وحلّت بأديبهِ مما لا يقدر عليهِ مكاثر، حتى كان يناظر جلّة الفقهاء، وجملة اهل العلم سوى السفهاء. ويفرّس الادباء، ويفرش لواطئهِ الاطبّاء، ويضرب بقلمهِ عصا ابن البوّاب، ويُطرف طَرَفٌ طرسهِ مُقلة ابن مُقلة بفاضل الجلباب، وهو على دينهِ المخالف يكرهُ الصدور، ويجره جرَّة (كذا) البدور »

قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٥٩): « كان ابن التلميذ جيّد الكتابة يكتبُ خطّاً منسوباً وقد رأيتُ كثيراً من خطّهِ وهو في غاية الحسن والصحّة وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي متبحّراً في اللغة العربية... وكان يترسّل ولهُ ترسُّل كثير جيّد وقد رأيت لهُ من ذلك مجلّداً يحتوي على انشاء ومراسلات...» ثم ذكر (ص ٢٧٦) عدَّة تآليف صنّفها في الطبّ لا يزال بعضها في خزائن المكاتب الشرقيّة كاقرابادينهِ ورسالتهِ في الفصد والاقناع والمقرّبات. وقد وجدنا لهُ في مكتبة الكلدان في دياربكر سنة ١٨٩٥ رسالة لطيفة في اثبات عقائد الدين المسيحي سنعود اليها ان شاء الله. ولهُ الرسالة الأمينيّة كتبها الى ولدهِ وكان يُعرَف برضى الدولة ابي نصر قال فيه ابن ابي اصيبعة (١: ٢٦٠): « ولم يكن مدركاً لصناعة الطب وكان في سائر احوالهِ بعيداً عمّا

١) اطلب المشرق ٩[١٩٠٦]: ٧٨١

كان عليهِ والدهُ، وقال (ص ٢٦٤) :

« خلّف ابن التلميذ نعماً كثيرة واموالاً جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة فورث جميع ذلك ولدهُ وبقي مدّةً ثم انهُ خُنق في دهليز دارهِ وأُخذ مالهُ ونُقلت كتبهُ على اثني عشر جملاً الى دار المجد بن الصاحب وكان ابن امين الدولة قد اسلم قبل موته »

﴿شعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٥٩) : « ولابن التلميذ شعر مستظرف حسن المعاني إلّا انهُ اكثر ما يوجد لهُ البيتان او الثلثة وانما القصائد فلم اجد لهُ منها الّا القليل » . وقد نظمهُ العماد الاصبهاني في كتابهِ خريدة القصر في جملة الشعراء وقال عنهُ : « كان من اكبر كتّاب النصارى لهُ ابيات افراد كلُّها فرائد وكلمات وافية رائقة ، شافية شائقة » وذكرهُ صاحب كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء (Ms Leid, p. 427) فوصف نظمهُ بقولهِ : « ان شعرهُ كثير المُلَح » ودونك بعض ما وقفنا عليهِ من ذلك نفصّلهُ ابواباً

﴿ لهُ في المديح ﴾ ما كتب بهِ في صدر رسالة الى جمال الدين ابي الفتح بن الفضل ابن صاعد جواباً (من الكامل) :

ما نَشْرُ أنفاسِ الرياضِ مريضةً ... عوّادها ظِلُّ النَّدى ورقطارُ
كفلَتْ بثَرْوتها مؤبّدةً بها ... وكفى صداها جدولٌ مِدرارُ
بكَتِ السماءُ فأضحكتْها مثلَ ما ... أضحكُ فتضحكُ بي الغداةَ نَوَارُ
واذا تُعارضها ذكاءُ تشعشعتْ ... فتمازَجَ النَّوّارُ والنُّوّارُ
مشتِ الصبا بفروعها مختالةً ... فصبا الكَشوق وغيرُهُ أستعبارُ
واذا تغنّى الطيرُ في ارجائها ... أبدى بلابلَ صدرِها التَّذكارُ
يوماً بأطيبَ من جِوارِكَ شاهداً ... او غائباً تَدنو بك الاخبارُ

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين (من البسيط) :

لا زال جَدُّكَ بالاقبالِ موصولا ... وجَدُّ ضِدِّكَ بالاذلالِ مَفلولا

ولا عَدِمْتَ من الرحمانِ مَوْهبةً تُعيد رَبْعَك بالعافين مأهولا
فنعمَ مُنْطلِقُ الكفَّين انت اذا أضحى اللئيمُ عن المعروف مغلولا
تجودُ بالمال لم تأل يداهُ وإن تُسأل فصاحتُهُ بَذَّ الورى قِيلا
لا يستريحُ الى العِلّات معتذرًا اذا الضَّنينُ رأى للبُخل تأويلا
يبادر الجودَ سبقاً للسؤال يرى تعجيلَهُ بعد بَذْل الوجه تأجيلا
لاغرو ان كُسِفَت شمسُ الضُّحى وبدت فأكثرَ الناسُ تقبيحًا وتهليلا
فأنت سيفُ غياث الدين أغمَدَهُ صَوْناً وعاد على الاعداء مسلولا
فما يليق بغير السَّعْد مُسنَدُهُ وإن أعاروهُ إعظاماً وتبجيلا
فاسلَم على الدهر في نَعْماء صافيةٍ من النوائب مرهوناً ومأمولا

ومن ظريف قولهِ في شريف كان يتواضع (من الطويل):

تواضَعَ كالبَدْر استنارَ لناظِرٍ على صَفَحات الماء وهو رفيعُ
ومَنْ دونَهُ يسمو الى المجد صاعدًا سموَّ دخانِ النار وهو وَضيعُ

وقال يمدح موفَّق الدين ابا طاهر الحسين بن محمَّد. وكان ابن التلميذ دخل مدينة سارة واشتغل في خزانة كتبها التي اوقفها موفَّق الدين على المدينة (من المنسرح):

وُفِّقتَ للخير اذ عَمَمتَ بهِ طُلَّابَهُ يا موفَّق الدينِ
أزلفتَ للناس جَنَّةً جمعَتْ عيونَ فضلٍ أشهى من العينِ
فيها ثمارُ العقولِ دانيةٌ قُطوفُها حُلوةُ الأفانينِ
لا زلتَ تسمو بكلِّ صالحةٍ بمُسعِدَيْ قدرةٍ وتمكينِ
ويرحمُ اللهُ كلَّ مستمعٍ مُشيِّعٍ دعوتي بتأمينِ

وله ﴿في الشكر والتهاني والهدايا﴾ قال يشكر مستوفي الممالك العزيز ابا نصر ابن حامد (من الطويل) :

لَعَمْرُ ابيك الخير ليس بواحدٍ من الناس إلّا حامداً لابن حامد
كأنّهمُ دانوا الإلهَ بشكرهم عُلاهُ ولكن لاكشكرِ ابنِ صاعدِ
همُ خبّروا عنهُ فأثنوا بصالحٍ وعندي بما أثنيتُ خيرَ المشاهدِ

ومن تهانئه يهنئ بخلعة (من الوافر) :

لئن شرُفتْ مناسبُها وجلّتْ لقد زُفّتْ الى كُفءٍ شريفِ
الى من زانها وأزدان منها كسالفةِ المليحة والشُنوفِ

واهدى الوزيرَ ابن صَدَقة كتاب المحاضرات للراغب وكتب معهُ (من الكامل) :

لمّا تعذّر ان اكونَ ملازماً لجنابِ مولانا الوزير الصاحبِ
ورغبتُ في ذكري بحضرة مجدهِ أذكرتُهُ بمحاضرات الراغبِ

وكان ابو القاسم بن الفضل عتب على ابن التلميذ في امرٍ فاجابهُ خالعاً عليهِ قميصاً معتماً اسود وكان السواد من اعلام الدولة العبّاسيّة (من الطويل) :

أتيتَ في السوداء تسحبُ ذيلَها خطيباً ولكن لا بذكر مثالبي

وقال ايضاً يسترضيهِ (من الطويل) :

اتاني كتابٌ لم يَزِدْني بصيرةً بسؤددٍ مُهديها اليَّ وفضلهِ
فقلتُ وقد أخجلتني بابتدائهِ أبى الفضلُ إلّا ان يكون لاهلهِ

وله ﴿في الرثاء﴾ قال في رئيس مات في يوم مطير (من الكامل) :

كم ذا الوقوفُ على غُرورِ أمانيِ أأخذتَ من دنياكَ عِقْدَ أمانِ
هل عيشةٌ بعد الرضا مَرْضيّةٌ كلّا ولو كانت خلودَ جِنانِ
انّ السماءَ بفقدهِ لحزينةٌ فرياحُها نَفَسُ الكئيبِ العاني
الغيثُ أدمعُها وما برقَتْ به نارُ الجوى والرّعدُ للإرنانِ (١
لو ذاق فَقْدَكَ مَنْ يلومُ على البكا لَزَرى على التّسيم (٢ والسُّلوانِ
تبكوكَ اذ صلّوا عليكَ ولم تزلْ كالنّجم تُهديها بكلّ مكانِ
لا يبعدَنْكَ وما البعيدُ بمن نأى حيًّا ولكنَّ البعيدَ الدانِي

وقال يرثي صاحب الحلّة الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس لمّا قُتل سنة ٥٠١ه (١١٠٧م) في واقعة كانت بينهُ وبين عسكر السلطان محمّد شاه. وكان هذا الامير على ما وصفهُ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ed. Popper, vol. 2 p.351) كريماً عفيفاً عن الفواحش وكانت دارهُ ببغداد حَرَماً للخائفين ولم يتزوّج غير امرأة واحدة وكانت سيرتهُ مشكورة وخصائلهُ محمودة ان سلم من مذهب اهل الحلّة فان اباهُ كان من كبار الرافضة. وهذا رثاء امين الدولة فيه (من الطويل):

لِيَبْكِ ابنَ منصورٍ عُفاةُ نوالهِ اذا عصفَتْ بالريحِ نَكباءُ حرجفُ
ويذكرُهم مَنْ ردَّهم بعبوسهِ فتًى كان يلقاهم ببشرٍ ويُسعِفُ
ولمّا سَما فوق السماءِ بهمّةٍ (٣ يفضُّ لها طَرْفُ الخسودِ ويُطرِفُ
رمَتْهُ الليالي بل رمَتْها برُزْئهِ كبدرِ الدُّجى في ليلةِ التّمِّ يُخسَفُ
عليكَ سلامٌ لا تزالُ قلوبنا على حَزَنٍ ما هَبَّتِ النّبُ (٤ توقفُ
ولا برِحَتْ عينُ السّماءِ بوَبْلها على جَدَثٍ واراكَ تَهمي وتَذرِفُ

(له بقيّة)

١) ويروى: للاحزانِ ٣) ويروى: على التبسم
٣) ويروى: رقا وسما فوق السماء بهمّةٍ ٤) ويروى: النبتُ

على طريق الجلجلة

رواية مترجمة يتعرف عن الروائي البولوني الشهير هنري شبانكيافتش نستهيرها من مجلة رسالة قلب يسوع بنسبة جمعة الآلام وقيامة السيد المسيح . وتاريخ الرواية في ربيع السنة ٣٣ للميلاد

بقلم الاب رفائيل غله اليسوعي

كان كايوس سنّا (Caius Cinna) من احدى اشرف العائلات الرومانية قضى شبابه في الحروب واذ عاد الى رومية مكنته ثروته الطائلة من قضاء وقته في الالعاب والمآدب وانواع الملذّات حلالا كانت ام حراماً . كنت ترى على مائدته اجود الخمور والذ اسماك البحر المتوسط لكنه لم يشبع من التمتع بالاديات بل كان مُغرماً بالفنون الجميلة والعلوم والفلسفة . خلاصة القول انه كان يحبّ كل شيء ما عدا السياسة وذلك دليل على حكمة سامية وخيرُ الوسائط ليعيش الانسان عيشة هادئة هنيئة

كان يُحبّ الجدال في الاديان الشتى مع انه لا يؤمن بواحد منها ، لا يكرّم الآلهة ولا يؤمن بالفضيلة والحقيقة والسعادة الخالدة فيحتقر كل مطامعه في التمتّع بالحياة الحاضرة . مع ذلك كان مولعاً بالخرافات مشغوفاً بالنبوّآت والعلوم السرّية وروايات الشرق الغريبة المدهشة ويميل كل الميل لمعرفة كل ما يختصّ بالتفاؤل وظهور الموتى والاشباح

على ان انهماكه هذا في طلب الملاذ العقلية والجسية لم يدُم طويلاً اذ اضاع ماله . فاصابه سأم شديد حاول معالجته بالتعمق في درس الفلسفة لكنها عجزت عن ان تفسّر له اسرار الحياة : «لماذا انا في هذا العالم ؟ من اين اتيت ؟ الى اين اذهب ؟» ، هذه اسئلة لا تُجيب عليها الفلسفة الوثنية مهما تقصّت في البحث عنها

سافر كايوس الى الاسكندرية ليتقلّد وظيفة مهمة ، تمكّنه من استعادة ثروته المفقودة . وهناك عاشر الحكماء لانهم يوضحون له مشاكل العيش الغامضة ولكن هيهات ! زاد شكه واضطرابه والم نفسه ففكّر في الانتحار لكنه حام حاماً هائلاً

رأى نفسه فيه بعد عبوره نهر الاموات في قبضة عبد مُخيف الصورة قال له : «انت اسيري الى الابد !» فـأفاق من النوم مذعوراً وآمن المرة الاولى بوجود حياة ابـدية بعد هذه الحياة الفانية ثم جعل يستفهم العلماء بهـذا الشأن . وكان من اشهرهم في الاسـكندرية تيمون الاثيني وقـد وقف على كل اسرار الكهنـة المصريين وقرأ مخطوطات كل المكاتب فتقرَّب اليه كايوس وبعد مدّة صارا صديقين حميمين

في ذات مساء كانا يتبادلان آراءهما في خلود النفس وهمـا على سطح بشاطئ المتوسط . كان تيمون يُجيل نظره في رحابـة البحر المتعكـة عليه اشعّة القمر فأرى كايوس طيوراً تشقّ الجوّ وسأله :

أتعرف ما تطلبه تلك الخلائق المجنّحة الظريفة التي تأتينا في الشتاء من الاقطار الشماليّة ؟

قال كايوس : انها تطلب هنا الحرارة والنور

— هكذا النفس فهي تسعى وراء الحرارة اعني الحبّ والنور لتفوز بالحقيقة . بيد ان الطيور تعرف الى اي بلد يلزم اتجاهها اما الانسان فلا يعرف ولذلك تتألم نفسنا وتطلب السلام سُدًى . توهّمتُ زمناً ان الفلسفـة تمنحني هذا السلام فرأيت حكماء اثينة وعلماءها يزرعون في القلوب الشكّ والاضطراب . على اني معتقد بوجود طريق يؤدي الى الحقيقة

— هل اكتشفته ؟

قال تيمون : اني لا ازال ابحث عنه . لقد طلبتَه انت سُدًى من الذهب والملاذّ التي أبعدتك عنهُ . كنتُ اقول لك ان عبدة الآلهة يمكنهم ان يكتشفوه لكني رأيت الذين يقدّمون الضحايا في رومية كجوبتر وللزُهرة يجهلون غاية الحياة . في مصر حيث التعبُّد للسنانير وللبقر شديد الانتشار لم أُدرك راحة النفس ولا احد يجيبني حين اسأل هل عيشتنا على الارض جديرة بان نعيشها والى اين يقودنا الموت ؟

— وما الفرق بينك انت المدّعي الحكمة وبين الكفّار الذين لا يؤمنون بشيء ؟

— هم سعداء في ظلماتهم او على الاقلّ يتظاهرون بالسعادة . اما انا فاتألم من ظلمات نفسي وذلك دليل جليّ على وجود النور الذي اتوق اليه اشدّ التوق

قال كايوس : من اين يأتي ؟

— سيأتي مع الخلاص بواسطة وحي جديد لا تزال نجهلهُ.

من ذلك اليوم فصاعداً شعر كايوس بانه ليس منفرداً بحمل عبء تلك الاسرار الغامضة والشكوك الاليمة فتعزّى بمشاركة تيمون اياه في تلك الاوجاع الروحيّة فتوثّقت عُرى المودّة بينهما يوماً عن يوم

كان لتيمون بنتٌ غنيّة بالعلم والجمال اسمها أنتيّة (Antée) ربّاها احسن تربية ودرّسها اشهر اللغات فضلاً عن الجبر والهندسة والخطابة والفلسفة. كانت واقفة على اسرار الكهنة المصريين وقد رأت بعض الرؤى وحلمت بعض الاحلام النبويّة. لذلك كان ابوها لا يكتفي بحبها بل يوقرها كل التوقير معتبراً اياها نبيّةً لا تمسّ الارض الّا بطرَفي رجليها وكأنها عائشة في محيط سماوي. وكان في بعض الاحيان يتأمل فيها منغّص القلب ويسأل نفسه أليست امال ابنته الى ما فوق الطبيعة دليلاً على مفاجأة الموت لها قبل اوانه

حالما عرف كايوس تلك الفتاة الفريدة الخصال وبنت اعزّ اصدقائه احبها حبّاً شديداً وخطبها الى ابيها ثم تزوّج بها فعدّ ذاته من تلك الساعة اسعد مَن اظلتهم السماء

مرّ عام على هذا الزواج الميمون وكان كايوس يبجّل امرأته اعظم التبجيل لكنها أُصيبت بمرض عُضال. تحوّلت الرؤى السماوية التي رأتها قبلاً الى كابوس مُريع جفّف في جسمها النضير ينابيع الحياة. ما كانت الشمس كل مساء تغيب وراء الافق حتى تسمع تلك التاعسة ضجّة غريبة ثم ترى رأس ميّتٍ مخيف شاحب تحدّق عيناه السوداوان الحادّتان اليها تحديق التهديد. يا لهول تلك الرؤيا! انتيّة التي لُقّبت بزهرة البدر اشارةً الى نضارة محيّاها وجمالها الفتّان نحفت نحافةً رائعة وظهرت من وراء بشرتها عظامُ صدرها ويديها. ثم لاحظوا ان سِرْباً من البيزان — وهي طيور مشؤومة عند الرومان — كانت تطير على الدوام حول دارها. كل مساء كانت رؤيا رأس الميت تتجدّد فتصاب انتيّة بحمّى شديدة ويتصبب العرق على جبينها المصفرّ اصفرار المناذعين. وهي التي اشتهرت قبلاً برزانتها وكمال عقلها ما كانت اوانئذٍ تتمالك ان تُلقي بذاتها مثل طفلة هيّابة بين ذراعَي زوجها هاتفةً هتاف الذُعر: «كايوس استحلفك ان تخلصني!»

فكان كايوس يدير نظره في كل انحاء الغرفة ، ويفتش في كل الزوايا وراء الستار وخلف الاسرة فيؤكد لامرأته العزيزة ان جميع ما رأته هو اضغاث احلام فلا تصدقه البتة . فحاول في الايام التالية ان يُسكت بالنغمات الموسيقية المطربة اصوات الاشباح فلم ينجح . وكانت زوجته تقول له ان رأس الميت يُحرّك بعض الاحيان شفتيه كأنهُ يقول لها : « اتبعيني ! »

استدعى كايوس اشهر الاطباء لكن بدون جدوى . قال له احدهم : ان الساحرة هيكاتة (Hécate) هي التي تظهر لانتقام وان ذلك دليل على موت امرأته لا محالة . فبلغ يأس تلك الزوجة التقية الى حد كونها توسلت الى كايوس ان يقتلها فينقذها فوراً من آلامها الفادحة لكن حبه المضطرم لها كان يحول دون مدّ يده الى حياتها . وكان قبل ميعاد ظهور رأس الميت في كل مساء يغطي وجهها بلثام كثيف فلا يمنع الرؤيا بل كان هذا الرأس المُرعب يظهر في الظلام الحالك بجلاء كظهوره بين اسطع المصابيح

نقل كايوس امرأته المحبوبة الى بريّة خصبة جميلة في قرب الاهرام المشهورة فذهبت كل اتعابه ادراج الرياح . اخيراً استشار طبيباً يهودياً اسمه يوسف فانكر كل الانكار كون رأس الميت هو الساحرة هيكاتة وصرّح بان انتقام قد تخبّطها شيطان . فوصف لها سكنى اورشليم قائلاً : « ان الاباسة هناك اقلّ مقدرةً في ايذاء البشر منهم في سائر المدُن وأنّ تلك البلدة فضلاً عن ذلك نقيّة الهواء كثيرة الملاهي » . كان كايوس يعرف حاكم اورشليم بيلاطس البنطي كل المعرفة فكتب اليه ملتمساً منه ان يستأجر له قصراً جميلاً ، ففعل

انتقل كايوس مع امرأته الى ذلك البيت الملوكي ولكن . . . اوّاه ! في اول ليلة قضياها بين جدرانه ظهر رأس الميت ، اهولَ منه في ما سبق ! فبلغ منها اليأس اقصى حدوده

كان في ساحة هذا القصر المبلّطة بالمرمر الفاخر حوضُ ماء دائم الخرير ومجواره شجرة جوز ممتدّة الفروع في ظلّها الوارف كان كايوس ينقل في النهار فراش امرأته ويجلس ساعات طويلة بجانبها مداعباً باصابعه يديها الناحلتين . فسألها يوماً بفائق الحنوّ :

كيف حالكِ اليوم يا حبيبتي ؟

قالت : تحسّنت يسيراً

عندئذ مرّ نسيمٌ عليل تحت الاغصان فتنفّست انثيّة تنفساً طويلاً منعشاً . وبعد هنيهة سكوت ، فتحت عينيها وقالت بصوت ضعيف :

كايوس ، أصحيحٌ ان في هذه البلاد رجلاً اسمه يسوع يشفي آلافاً من المصابين بكل انواع الامراض ؟

— نعم . سمعتُ اليهود يتكلمون عنه ويسمونه نبيّاً . لكني اظنه نبيّاً كاذباً بدليل كونه جدّف على هيكل اورشليم وكذّب تعاليم الكهنة فحكم عليه بالصلب صديقُنا بيلاطس . واليومَ ميعاد صلبه

بعد هذا الكلام هزّت انثيّة رأسها بحزن وقد خاب املها بان يشفيها يسوع صانع المعجزات . فعزّاها زوجها قائلاً : «توالي الايام يشفيك بلا شك» . فاجابته : «بل انه يقودني الى حفرة القبر!» . وبعد سكوت طويل سمعا وقع اقدام فازداد وجه المريضة شحوباً وقد ايقنت بانّ اوان ظهور رأس الميّت قد وافى . صحوباً كالعادة توكب من الاهوال ! فسكّن كايوس روعها بقوله : «لا تفزعي يا عزيزتي . لعلّ هذا الزائر هو بيلاطس البنطي»

كان كذلك ودخل بيلاطس يتقدمه عبدان وهو شابٌ امرد عليه ملامح الرزانة والجلال تمازجها مسحة من الكدر . فجلس على صخرة في ظلّ الجوزة وقال :

السلام عليكما . ليت الصحّة تزهر في خدّي انثيّة إزهار شجر التفاح في بستانكما ، لكنّ العزلة أمّ الضجر لذلك اشير عليكما بطلب الملاهي . ليس لنا في اورشليم مسرح ولا ملعب لكني اقترح عليكما حضور مشهد غريب في هذا اليوم الذي يصلب فيه بقيّة الجلجلة ثلاثة من كبار المجرمين . فان يراق لكما انتراحي هيّأتُ لكما كرسيّين بجوار محلّ مرور الموكب كي تتمتعا بكل تفاصيل ذلك المشهد النادر . واحدٌ من المصلوبين هو رجل عجيب ادّعى انه ابن الله يشبه الحمل برداعته وفي الحقيقة لم يفعل شيئاً يستحق الموت صلباً

قال كايوس : هل حكمتَ عليه بالصلب ؟

— كان يودّي ان ابرّئ ساحته لكني كنت اعرّض نفسي بذلك لأعظم الشرور حيث يشكوني اليهود الى القيصر طيباريوس المشهور بقساوته الوحشية

فقاطعته انتيّة بقولها : « كل ذلك لن يُنقص عذاب البارّ يسوع ! »

— وان يكن يسوع الناصري غير مُجرم فليس احد على الارض بدون خطيئة اذلك لا اندم كثيرًا لكوني حكمتُ عليه بالصلب . وعلى كل حال فان تعليمه خارج عن حدود العقل البشري فكان الاحرى به ان يحفظ لنفسه افكاره الغريبة بدلًا من ان يُفسد الشعب ويهيّجه بها . فمن اضاليله مثلًا قوله انه يجب علينا ان نحبّ كل البشر على السواء اليهوديّ كالروماني والرومانيّ كالمصري فاين هذا من الصواب ؟ وفضلًا عن ذلك اني لم أُلحق به ادنى ضرر باسلامه للموت حيث تنبأ بانه يقوم من بين الاموات

حينذاك ضحك كايوس وامرأته ضحكة الدهش وقالا بصوت واحد : « سيقوم ! أيمكن ذلك ؟ »

— نعم ثلاثة ايام بعد موته بحسب قول تلاميذه . فقد نسيتُ ان استفهمه بهذا الشأن . مهما يكن من امر قيامته فاني ما آذيتهُ بصلبه حيث علّم البشر انّ الصالحين يعيشون بعد الموت عيشة سعيدة ابدية . ملخّص كل تعليمه المحبة المحبة ثم المحبة !

انتيّة : ما اجمل هذا التعليم !

كايوس : هل طلب اليهود صَلْب مَن علّم هذه المحبة السامية ؟

بيلاطس : لا بدع ، فانّ نفس هذا الشعب مطبوعة على البغض !

انتيّة : لله درّ يسوع ! هو موقنٌ بحصوله بعد الموت على السعادة الابديّة ولذلك فهو يهزأ بالعذاب والصليب ! عزيزي كايوس ما اجمل هذه العقيدة ! ممّن تعلّمها يسوع ؟

بيلاطس : من ابي البشر ، الاله الساكن في اعالي السموات

حينئذٍ حاولت انتيّة رفع جسمها عن الفراش قائلةً لكايوس : « لنذهب الى الطريق الذي سيمرُّ به يسوع صاعدًا الى الجلجلة »

بيلاطس : اذًا عجّلا . ألا تسمعان هذا الدويّ في وسط المدينة ؟ ان موكب المصلوبين الثلاثة ينطلق الآن

ركب كايوس وامرأته مَحْمِلًا وساروا في الشوارع وقد امر بيلاطس بعض الجنود الرومان بتقدّمها كي يُبعدوا كل الموانع في الطريق فوصلا الى محلّ عالٍ جلسا فيه

منتظرين مرور الموكب الهائل . في تلك الاثناء كانت انتيّة تراجع في ذهنها كل ما سمعته بشأن تعليم يسوع ذاك التعليم الشريف السامي الذي اعتبرتهُ كينبوع الشجاعة والرجاء والتعزية . كانت موقنة بقرب موتها وكانت تزعم الموت انفصالاً ابديا عن زوجها المحبوب وعن والدها وعن ماطا وعن كل ما تحبه في العالم . كان الموت في نظرها هاوية مظلمة بدون قرار وها انها سمعت صوتاً جديداً صوت يسوع الناصري يقول ان الموت وإن سلبها بعض الخيرات الفانية يمنحها الخيرات الابدية ! هذا الرجل لم يكن الكذب من مصلحته فانه احتقر كل الارضيات : وُلد فقيراً عاش فقيراً مات فقيراً . اذاً كلامه صدقٌ محض ! قال ان الموت هو خاتمة عذاباتنا الدنيويّة والانتقال من الشرور الزائلة الى الخيرات الدائمة . كانت انتيّة تفهم كل ما انطوت عليه عقيدة القيامة من العذوبة والفرح ولذلك تشبّثت بهذا التعليم بكل قوى ذهنها وقلبها . كانت تتذكر قول ابيها وقد اعاده عليها مراراً : « سيأتي تعليم جديد يُنير العالم ! » ولم يبعُد عن فكرها ان يسوع الناصري المقود الى الصَلب هو استاذ هذا التعليم المنتظَر منذ اقدم العصور

مرور موكب المجرمين الثلاثة انتشلها من لجة تأملاتها العميقة فرأتهم مُحاطين بالجنود وكلٌ منهم حاملٌ على ظهره صليباً ثقيلاً . كانت سماء المتطرفَيْن منهم تدلّ على السفالة والخباثة امّا الاوسط فعلى وجهه الشاحب والملطّخ بالدم سمة جمال سماويّ . حول جبينه تاجٌ من الاشواك وعيناه الملزتان بوداعة لامتناهية كانتا تنظران بحزن شديد الى الجموع المنهالة عليه باقبح الشتائم . فتأثرت انتيّة من منظره كل التأثر وهمست : « هذا هو الحقيقة الحيّة ! »

دار الموكب دورةً ثم اعاد مروره امام انتيّة . في تلك الاثناء جاء اليها رجل حقير الثياب قد اغرورقت عيناه بالدموع وقال لها : « كنت مخلّصاً فشفاني يسوع ومع ذلك حكموا عليه بالموت ! » عند هذا الخبر زاد وجهها شحوباً فشابهَ لونَ لثامها . وحين عبر يسوع ثانيةً امامها نسيت انها لم تقُم من سريرها منذ شهور فنهضت لشدة اغتياظها من صيحات الجماهير ضدّ النبي العظيم وقطفت بعضَ زهور التفاح المزيّن بها محملها ورمتها عند قدمي يسوع صائحةً بملء صوتها الضعيف : « انت الحقيقة الحيّة والمُحيية ! » وكان صوتها اول صوت ورحمة صعد من تلك الجموع !

فرفع يسوع نظره الى الفريضة كانه يريد ان يباركَ عليها وكانت قد ارتمت على وسادتها لكنها شعرت بسيل من النور والقوة والشجاعة فسالت السكينة والتسليم فجأةً في اعماق نفسها !

ألحَّ عليها زوجها لتعود الى القصر فأبت وبقيت تنظر عن بعد كل تفاصيل الصلب الرائعة . رأت الجنود يمزّون يسوع عن ثيابه والجماهير تصيح به : «ايها الملك الكاذب دافع عن ذاتك اين جنودك ؟» ثم رأت يديه ورجليه مثقوبةً بالمسامير الطويلة الخشنة وصليبه مرفوعاً بين صليبَي رفيقيه اللصَّين

ثم استترت السماء بالغيوم وامتدَّ الظلام على الارض بكسوف الشمس على غير اوانه . عندئذٍ انتثرت الجموع المحتشدة على قمة الجلجلة ، ولم يبقَ في جوار يسوع المصلوب سوى بعض النساء قائلاتٍ بلهجة الخوف والاسف الشديدين : «صلب اليهود يسوع البارّ !» ثم لاح برقٌ رأت انتيَّة في نوره رأس يسوع قد انحنى الى صدره وجفناه مُطبقان وشفتاه مزرقّتان تتمتمت قائلةً : «مات مات هذا المعلّم السامي !»

اخيراً عادت مع زوجها الى القصر وقد اظلمت السماء فالتزما باشعال المصابيح ليسيرا بامان في ازقة اورشليم الضيقة الملتوية . فوصلا الى مسكنهما في الماء وكانت هذه اول ليلة لم ترَ فيها انتيَّة رأس الميت وكل ما يصحبها من الاهوال . كذلك لم ترَه في الايام الثلاثة التالية فلما جاء والدها تيمون من الاسكندرية لزيارتها تعجّب من نضارة خدَّيها فعاد الرجاء الى قلبه كما عاد الى قلبها . كانت هذه الايام الثلاثة حالكة محزنة لأنَّ الشمس لم تلُح من كثافة الغيوم

في الليلة الثالثة كانت انتيَّة ووالدها وزوجها في ساحة القصر تحت الجوزة الكبيرة . فبقوا حيناً ساكتين يتذوَّقون سعادة اجتماع شملهم بعد تفرّقه الطويل والنسيم الطائر اليهم من البحر المتوسط يرطّب الهواء ترطيباً لذيذاً . فكانت انتيَّة المتّكئة على وسائد الارجوان تتنشّقه بملء رئتيها وهي مغمضةٌ عينيها وتُصعد من اعماق صدرها بعض الزفرات السوعة وكان ابوها وزوجها يلاحظانها صامتَين . حينذاك شعر كايوس شعوراً غريباً بان امرأته قد شُفيت ومع انه لم يكن مؤمناً ركع على الارض بجانب سريرها ليشكر الآلهة

واذ رفع رأسه كانت ظلال الماء تتحدر الى الافق البعيد ، كانت الساعة المشؤومة

ساعة الرؤى والكوابيس . لكنَّ انتفيَّة فتحت فجأةً عينيها وصرخت نحوه بلهجة غريبة : « كايوس مُدَّ اليَّ يدك . » فنهض فوراً وكأنَّ دمه قد جمد بعروقه . فقالت له وعيناها تكادان تخرجان من محجريهما : « ألا ترى هذا الضياء المتقرّب مني ؟ » فاجابها : « اتوسل اليك ان تُغمضي عينيك ولا تنظري شيئاً ! » ثم تفرّس في وجهها فلم يرَ ادنى علامة رُعب بل كان منوّراً بنور سماوي والشفتان منفرجتان قليلاً وعلى الخدّين دلائل فرح غير محدود . تمتمت امرأته : « الرؤيا تدنو اليَّ ! ها هي اراها جليّاً ! هذا هو يسوع الناصري يمدّ اليَّ يديه الباقي فيهما ثُقبا المسامير . ما اجمله ! ما ارحمه ! كايوس انه يمنحني الشفاء ! يمنحني الشفاء ويدعوني الى السماء ! »

بعد هذه الكلمات اسلمت روحها بجانب زوجها وقد شحب وجهه كلَّ الشحوب وقال بصوت خنقته الدموع : « انا ايضاً سأتبع مثلك ! يسوع المسيح فهو وحده يستطيع ان يمنحني الحياة الابدية السعيدة ! » ثم سمع خطوات متدانية واذا صديقه بيلاطس راكضٌ يلهث ويمسح العرق من جبينه ويقول بلهجة التأثر الشديد : « في هذا الصباح قام يسوعُ من قبره وقد انتشر هذا الخبر في كل اورشليم ! »

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : ابحاث الحادي عشر

بيروت في عهد الشهابيين الى موت الجزّار (١٧١١—١٨٠٦)

تتبّعنا اخبار بيروت حتى اوائل عهد الشهابيين الى موقعة عين دارة التي فيها تمّ

الفوز للامير حيدر الشهابي ودارت الدورة على الحزب اليمني بتغلب الحزب القيسي وسقوط بيت علم الدين الذين قُتل منهم خمسة امراء في عين دارة كانوا كالعتبة الكؤود في سبيل سلام لبنان وكشجاً في حلقه لم يُنتزع وتوطيداً لهذا السلام اقتسم الامير حيدر مقاطعات لبنان بين مناصريه القيسيين فولى الامراء اللمعيين على المتن والتلحوقيين على الغرب الاعلى والنكديين على الشاعمة وآل القاضي على جزين واطلق على كل هؤلاء اسم المشايخ . وانحذل بانتصار القيسيين ولاة الدولة التركية الذين كانوا في جانب اليمنيين وعادوا الى مراكز ولايتهم في دمشق وصيداء وطرابلس

حكم الامير حيدر على الشوف وبيروت وسواحل لبنان وابتنى له قصراً في بيت الدين . وقد شكر الناس عدله وخافه اعداؤه لاسيما بعد انتصاره على مشايخ المتاولة سنة ١٧١٨ . وفي السنة ١٧٢٩ اعتزل عن الحكم منيباً عنه ابنه الامير ملحم الذي خلفه بعد وفاته سنة ١٧٣٠ وجرى على آثار ابيه بحسن تدبيره وبباسه وشدة بطشه بن يخالفه فكان لا يعفو عن ذنب وهو الذي غلب والي دمشق اسعد باشا العظم وضمّ بعلبك الى ولايته . ولما رأى ما يثيره اللبنانيون من الفتن عدل الى سياسة تقسيم كلمتهم . وظهر وقتئذٍ الحزبان الشهيران اليزبكي كان زعيمه عبد السلام العماد ابن يزبك والجنبلاطي يرئسه الشيخ علي جنبلاط . وفي زمنه انقضّت صاعقة على قلعة بيروت فخربت جانباً منها فاصلحه الامير

وفي السنة ١٧٥٤ تنازل الامير ملحم عن ولاية البلاد لاخويه الاميرين احمد ومنصور وسكن بيروت الى سنة وفاته ١٧٥٩ . فحكم الاخوان مشتركين الى السنة ١٧٦٢ ثمّ وقع بينهما خلاف أدّى الى حرب انتصر فيها الامير منصور فاستقلّ بالحكم الى السنة ١٧٧٠ . وفيها رأى ان الامير يوسف ابن اخيه ملحم كان قد شبّ وقويت شوكته وحاول وضع يده على ولاية والده فسبقه الامير منصور نجاةً من صولته وتخلّى له عن الحكم امام اعيان البلاد في الباروك وتوطّن هو بيروت الى ان مات فيها حتف انفه سنة ١٧٧٤

حكم الامير يوسف ابن ملحم على لبنان وبيروت ثماني عشرة سنة قضاها بضروب المحن فحارب المتاولة في جبل عامل وانتصر عليهم بيد كاخيه الشيخ سعد الخوري . ثمّ اثار عليه الفتن اخواه بشير احمد وقندي وخاله اسمعيل ففتك بهم

وممَّن قضي عليهِ محاربتُهُ ظاهرُ العُمَر وكان هـذا شيخاً عربيًّا من قبيـلة بني زيدان الساكنة في فلسطين وكان ابوهُ عمر عاملًا في اوَّل الامر للامير الشهابي بشير الاوَّل فخدمَهُ بمراقبة الشيعيين في صفد وبلاد بشارة واشتهر بنشاطهِ وشجاعتهِ وشدَّة شكيمتهِ وكان يُحسن المعاملة الى النصارى واستعان في خدمتهِ بابراهيم الصبَّاغ . ولمَّا توفي الامير بشير سيِّدهُ استقلَّ بالامر ووسَّع نطاق حكمهِ ثمَّ قام ابنهُ ظاهر بعـدهُ فساعدهُ الزمان فدخل عكَّا . وانقذها من ظلم الاتراك وبلَغ حدود ولايتهِ الى يافا جنوباً وحيفا شمالًا وهو يؤدي للدولة الضرائب المطلوبة فتغضّ الطَّرْف عنهُ حتى جرى بينهُ وبين ولاتها نفور . وكان الامير علي بك في تلك الاثناء قـد استفحل امرهُ في الصعيد فاراد ان يملك على سوريَّا اذ رأى ضعف الدولة التركيَّة وانشغالها بمحاربـة الدولة المسكوبيَّة وحالفهُ الشيخ ظاهر العمر وعشيرتهُ فأمدَّهُ علي بك بجيش يرئسهُ مملوكهُ محمَّد بك ابو الذهب فخان هذا سيِّدهُ ورجع الى مصر . فقام علي بك بنفسهِ وقدم الشام وحارب مع الشيخ ظاهر الاتراك وكان يعضـدهم الامير يوسف فانتصر عليهم المصريون في واقعتين سنة ١٧٧١ . ثم ارسل علي بك يطلب من الدولة الروسيَّة ان تساعدهُ على الدولة العثمانيَّة فتقدمت مراكبهم الى صيدا وعضدوا المصريين في انتصارهم على العثمانيين ثم ساروا الى بيروت فضربوها ولم يبتعدوا عنها الَّا بعـد ان دفع الامير يوسف ٢٥٫٠٠٠ ريال للاميرال سبنكوف . امَّا ظاهر العمر فانتهز تلك الفرصة ليبسط حكمهُ على معظم بلاد فلسطين . ثمَّ ساءت امورهُ بعد مدَّة برجوع عليّ بك الى مصر وقتلهِ مستلماً بدسائس مملوكهِ السابق ابي الذهب ثمَّ بتحوُّل احد ابنائهِ عنهُ وعودة ابي الذهب الى الشام مشتركاً مـع الاتراك لمحاربتهِ ففتحوا اوَّلًا صيدا ثم حاصروا الشيخ في عكَّا فامتنع عنهم حيناً حتى أطلق عليهِ احد جنودهِ رصاصةً أودت بحياتهِ في اواسط آب سنة ١٧٧٥

وما كاد ينجو الامير يوسف من عدوِّه الشيخ ظاهر العمر حتى وقع في ايدي عدوٍّ آخر ألدَّ واظلم منه اعني بهِ احمد باشا الجزَّار والي صيدا وعكَّا . وكان هذا اصلهُ من بلاد البشناق يخدم كمملوك بعض امراء مصر فأتى بمآثم شتى ثمَّ فرَّ هارباً والتجأ الى الامير يوسف الشهابي فأكرمهُ وأمَّنهُ لكنهُ ارتدَّ على المحسن اليهِ ولاذ بضروب المكر والخداع الى ان تولى على صيدا وحـارب الامير يوسف وتحصَّن في بيروت

ضدّهُ فاضطرَّ الامير الى ان يلتجئ الى الدولة السكوبيّة بواسطة الشيخ ظاهر العمر صديقها وكان الشيخ وقتئذٍ في عزّ ولايته فاصطلح مع الامير يوسف خوفه على مدينته صيداء واستدعى الروس ليُخرجوا الجزّار من بيروت فهرًا فاقت سفن سكوبيّة الى مرفأ بيروت وضربت المدينة بدافعها ونزل من جنودهم قوم حاصروا المدينة وخرّبوا ابراجها ولم يزالوا يضايقونها برًّا وبحرًا مدّة اربعة اشهر الى ان نفد الزاد وبأنت الجماعة الاهلين الى اسوإ حال. فاضطرَّ الجزّار الى ان يطلب الامان على شرط ان يخرج من المدينة سالمًا مع أتباعه. ودفع الامير يوسف ثلثمائة الف غرش الى الاميرال السكوبي كما كان وعده

على ان احمد الجزّار عاد بدهائه وعزّز مقامهُ واستولى بعد وفاة ظاهر العمر على صيداء وعكّا واجترح من ضروب الجنايات ما لا يحصيه قلم فكان لا يوقنهُ ضمير ولا يعبأ بسلطان بل قرّبتهُ الدولة العثمانيّة لبلوغ مآربها وقلّدتهُ رتبة الوزارة فطغى وبغى وجيّش الجيوش وحارب ولاة دمشق وطرابلس وامراء لبنان واستولى على سواحل الشام وغرّم الامير يوسف مبالغ طائلة فذاق منهُ الامرّين

وكان الجزّار انتقل الى عكّا فجعلها من أحصن مدن الشام ولا تزال بقاياها الى اليوم تُشعر بحرازتها وعمّر لهُ اسطولًا لحراستها. ثم تولّى على دمشق غير مرّة وقلّد ادارة الحجّ وقاتل الاعراب في فلسطين والمتاولة في جبل عامل. وهو في كل تصرُّفهِ يقترف من الفظائع ما ترتجف لهُ الفرائص فاستحقّ بكل صواب اسم الجزّار. هذا فضلًا عن مطامعهِ الاشعبيّة وحرصهِ على جمع الذهب بكل طرائق الحرام كالضرائب الباهظة واستيفاء اموال الناس وبحكمهِ عليهم بالعذابات المهلكة دون ان يراعي لاحد حقًّا حتى انهُ نفى لتجّار الفرنج من صيداء وبيروت

وحصلت عدّة فتن ومشاغب لخلع نير الجزّار إلّا انهُ كان بدهائهِ لا يلبث ان يخمد نارها وينتقم من اصحابها. وكان الامير يوسف عضدَ بعض هذه الثورات فلم يفلح واضحت سبب انقلابهِ وسقوطه سنة ١٧٨٨ وتولية الامير بشير ابن الامير قاسم المعروف ببشير الثاني او الكبير في مكانهِ. ثم امره بطاردة الامير يوسف فأخرجهُ من لبنان. وبعد مدّة عاد الامير يوسف وطلب الامان من الجزّار فأمّنهُ واستقدمهُ اليهِ ثمّ غدر بهِ وبكاخيتهِ الشيخ غندور الخوري فشنقهما سنة ١٧٩٠

قضى الامير بشير في ولاية لبنان مدّة بضع سنين (١٧٨٨ــ١٧٩٢) تحت نير احمد الجزّار وقد استحقّ اسم الكبير بما قصده وسعى الى تحقيقه من تحسين احوال الجبل وبسط الامان في انحائه وتنشيط اموره الاقتصاديّة إلّا انّ جشع الجزّار والحاحه على الامير بشير بجمع المال دفعاه الى وضع الضرائب الزائدة على اللبنانيين فناءت تحتها كواهلهم وعدلوا الى الثورة بينهم الامراء الشهابيون فاضطرّ الامير بشير الى ان يتخلّى عن الولاية للامرين حيدر وقمدان ثمّ للامير حسين ابن الامير يوسف. لكنّه لم تثبت ولاية هؤلاء الامراء فعاد الجزّار وارجع الامير بشير (١٧٩٢ــ١٨٠٠) فعاملهُ كعادته كآلة تدير بآربه ولمّا بلغ السيلُ الزُبى فرّ الامير بشير الى مصر وبقي هناك سبع سنين. وقد مرّ في المشرق خبر رحلته الى قطر النيل بقلم رفيقه الشيخ سليم الدحداح (المشرق ١٨[١٩٢٠]: ٦٨٧ الخ)

وفي اثناء اقامته في مصر مات الجزّار سنة ١٨٠٤ فتنفّس الناس وبقي الحكم في غيبة الامير بشير في ايدي اولاد الامير يوسف يدير امورهم جرجس وعبد الاحد باز ابو شاكر

هذه خلاصة احوال سياسة لبنان وبيروت في القرن الثامن عشر لدخولهما معاً في حكم الشهابيين. وقد جرت في بيروت امور اخرى دونك الاهمّ منها

ان بيروت بعد قتل الامير فخر الدين عادت الى خمولها وقلّ عدد اهلها وكسدت تجارتها. فلمّا تولى الشهابيّون حاولوا تحسين امورها. فبنى فيها الامير ملحم الخان المعروف بخان الملّاحة. وبنت زوجة اخيه احمد المكنّاة بأمّ دبّوس القيسارية العتيقة والبرج المستدير بجانب السور غربي المدينة في الموضع الذي بُنيت فيه بعدئذٍ ثكنة عساكر الدولة المتحوّلة اليوم الى السراية الكبرى. وشيّد الامير منصور ابن الامير ملحم في بيروت طاقة القصر جنوبي شرقيّ كنيسة الكبوشيين الحاضرة ثمّ الديوان وميزان الحرير والقيسارية المعروفة باسمه. واقتدى به اخوتهُ الامراء علي وبشير السين وحسين فبنوا ابنية شتى منها قيسارية الصاغة للامير علي ومنها دورٌ واسعة عند الباب الجديد قرب باب يعقوب. ولما عاد الامير يوسف الى بيروت بعد حرب الروس للمدينة وخروج الجزّار بنى قيسارية الاروام التي تحوّلت بعدئذٍ الى خان بسترس. وكذلك الشيخ عبد السلام العماد عمّر قيسارية نُسبت اليه في رأس سوق العطّارين.

ومما بني ايضاً في بيروت في اواسط القرن الثامن عشر « قيسارية البارود » بناها الامير سليمان اللمعي . فكل هذه الابنية اعادت لبيروت بعض رونقها . فقصدها التجار الفرنسويون وازداد فيها عدد الوارنة وكان معظم شغلهم صناعة الحرير

وانما ورد في كتابات المرسلين الكبوشيين ان بعض القرصان الايطاليين قبضوا سنة ١٧٥٨ على سفينة لاهل بيروت فغضب لذلك المسلمون وهجموا على ديرهم الواقع جنوبي كنيسة الوارنة الكاتدرائية الحاضرة وداخل الاسوار القديمة فنهبوا الدير واتلفوا ما وجدوه فيه بعد ما اعتقلوا رهبانهُ . وزعم داود افندي كنعان في رسالته جواهر اليواقوت في تاريخ بيروت (الجنان ١ : ٣٧٧) : « ان الامير ماجم ارسل اعوانهُ فأطلقوا المتقلين وقبضوا على المذنبين واحضرهم اليه فامر بقتل اثنين منهم واستخلص للبادرية ما كان قد نُهب في ديرهم » . وفي تلك السنة فشا الطاعون في البلاد وأصيب به كثيرون من اهل بيروت . ولما توفي الامير ماجم سنة ١٧٦١ دُفن فيها في جامع الامير منذر التنوخي

ومما كان يرغب الى الوارنة استيطان بيروت وجود قنصل دولة فرنسة الشيخ نوفل ابن حسن الخازن وهو من طائفتهم . فتولى اعمال القنصلية الى سنة وفاته ١٧٥٣ . وبقيت القنصلية فارغة الى السنة ١٧٨٦ حيث ارسل البطريرك يوسف اسطفان الى ملك فرنسة لويس السادس عشر الخوري انطون قياله ليطلب تجديدها فتُعطى للشيخ غندور سعد الخوري جالح . فاجاب الملك الى ملتمسه وتقلد الشيخ امورها من السنة ١٧٨٧ الى ١٧٩١ وفيها غدر به احمد باشا الجزار كما سبق فقتلهُ في عكا

وفي اواسط هذا القرن الثامن عشر حدث امرٌ ذو شأن في تاريخ نصارى لبنان وبيروت ألا وهو تنصُّر الامراء الشهابيين ثمَّ اللمعيين . قيل انَّ اوَّل من دان بالنصرانيَّة الامير عبدالله الشهابي الساكن في غزير على يد الآباء الكبوشيين فتوفي في المتفى سنة ١٧١٧ . ثمَّ الامير علي ابن الامير حيدر ثاني امراء لبنان تنصَّر على يد الكاهن الماروني الخوري ميخائيل فاضل البيروتي مع زوجته سنة ١٧٥٤ لشفاء ابنتها بواسطة ادعية الكاهن المذكور الذي اقيم بعد ذلك بطريركاً على طائفته سنة ١٧٩٣ . وتبعهما ثلاثة من ابناء الامير ماجم اي الامراء سيد احمد وقاسم وحيدر . وفي السنة ١٧٦٤ ثمَّ اهتدى الامير قاسم ابن عمهم عُمر مع زوجته على يد السيد يوسف اسطفان

الفسطاوي واعتمد ابنهُ البكر الامير حسن عند مولده ثمَّ اخوهُ الامير بشير المشهور بالكبير في ٦ ك٢ ١٧٦٧ . وتبعهم بعد حين غيرهم من الامراء واتخذوا جميعهم الطقس الماروني إلَّا واحداً تبع الطقس الملكي الكاثوليكي . وكذلك الامراء اللمعيون تنصَّروا في ذلك الجيل بعد الشهابيين . وكان اوَّل من سبقهم الى العماد الامير اسماعيل من آل قايدبيه في صايدا سنة ١٧٨٨ . ثمَّ امراء قرنايل هداهم الى الايمان القس عمانويل البعبادتي من الرهبانيَّة الانطونيَّة سنة ١٧٩٠ فعمَّد الاميرَ بشير ابن الامير حسن . ثم نصَّر الابُ عمانويل سلام المتينيّ امراء رأس المتن(١)

ومِمَّا عزَّز ايضاً امور النصرانيَّة في بيروت في القرن الثامن عشر توالي اساقفتها الملكيين وقد مرَّ ذكر سلبستروس الدهَّان المتوفَّى سنة ١٧١٣ فخلفهُ نافيطوس قدَّير كرسيّ بيروت وفي ايَّامه انقسمت الطائفة الملكيَّة الى قسمين كاثوليكي واورثذكسي . وكان نافيطس مضادًّا للكاثوليك . فسقَّف البطريرك كيرلُّس طاناس على بيروت سنة ١٧٣٦ اثناسيوس دهَّان الذي رُقِّي بعد ذلك الى منصب البطريركيَّة وتسمَّى ثاودوسيوس ١٧٦١ وكان من الرهبانيَّة الحنَّاويَّة . وخلفهُ الراهب المخلصي باسيليوس جلخاف بعد استقيلته على صيدا . وفي السنة ١٧٧٨ استقال عن اسقفيَّة بيروت فخلفهُ السيد اغناطيوس صرُّوف الدمشقي فثبت في كرسيّه الى السنة ١٨١٢ حيث أُقيم بطريركاً باسم اغناطيوس ثمَّ قتلهُ ظلماً بعض الأَئمَّة بعد ٩ اشهر من السنة (٢

اما الموارنة فاقام البطريرك يعقوب عوَّاد اسقفاً على بيروت سنة ١٧١٦ المطران عبدالله قرالي رئيس الرهبانيَّة الحلبيَّة اللبنانيَّة وكان احد الاساقفة الذين حضروا المجمع اللبناني توفي في يوم عيد الفطاس سنة ١٧٤٢ فتعيَّن بعدهُ لكرسي بيروت يوحنا اسطفان مطران اللاذقيَّة سنة ١٧٤٣ . ثمَّ سُقِّف على بيروت قبل وفاته يوسف ابن اخيه الخوري جرجس اسطفان وهو الذي ارتقى الى الكرسي البطريركي خلفاً لطوبيَّا الخازن سنة ١٧٦٦ . ثم خلفهُ الخوري ميخائيل فاضل الاوَّل ثمَّ اثناسيوس

---

١) اطلب تفاصيل تنصُّر كل هؤلاء الامراء في مقالة الكاتبين البارعين عبدي افندي اسكندر الملوف والشيخ سليم الدحداح في المشرق (١٨ [١٩٣٠] : ٥٤٢-٥٥٢)

٢) اطلب في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٩٣-٢٠٤) مقالتنا في اسقفيَّة الروم الكاثوليك في بيروت ثمَّ راجع مختصر تاريخ ازوم الملكيين الكاثوليكيين (ص ٧٢)

الشنّي الوسطاوي ثمّ المطران ميخائيل فاضل الثاني سنة ١٧٩٤ فتوفي سنة ١٨١٩ . وهؤلاء الاساقفة الموارنة لم يسكنوا غالباً بيروت . وقد وُجد منهم في وقت واحد اسقفان على المدينة (١

وفي اواخر القرن الثامن عشر تعدّدت النكبات على بيروت وقد سبق أن المراكب العسكريّة ضربتها مرّتين بالمدافع في عهد الامير يوسف والجزّار . ونهب جنود الروس اهلها . ثمّ عاد الجزّار سنة ١٧٧٦ فاستولى على بيروت ورفع يد الامير يوسف عنها وضبط ما فيها من الاملاك للامراء الشهابيين وهدم دورهم ورمّم بحجارتها السور وانّما ابقى دار الامير مراد كحصن . واحرق بيوت النصارى وجعل كنائسهم اصطبلات وقطع الاشجار التي بجوانب المدينة فكل هذه النكبات مع نفي الفرنج من بيروت احتلّت على اهلها كضربة لازبة فتفرّق شملهم وتلفت صناعتهم وكسدت تجارتهم . وفي كتابات القنصل الفرنساوي هنري غويس .H) (Guys انّ بيروت اصبحت في اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٥ كقرية لا يزيد عدد اهلها على خمسة آلاف (لهُ تابع)

قصة صالح ابن عبد القدّوس مع راهب الصين

نشرها حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

توطئة

بين مخطوطات دير سيّدة النجاة في الشرفة للسريان الكاثوليك (٢ مجموعة لطيفة تحت الرقم ٢٥٨ تحتوي على مقاطيع شتى دينيّة وادبيّة وتاريخيّة وقصصيّة بخطوط مختلفة عربية وكرشونيّة يرقى عهدها الى القرن السادس عشر . وممّا جاء هناك القصّة التي نسخها حضرة القس اسحق ارملة لينشرها في هذا العدد من المشرق وهي قصّة صالح ابن عبد القدّوس مع راهب الصين . وقد اثبتنا سابقاً اخبار صالح واشعاره الحكميّة الجميلة (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٨١٩-٨٢٩ و٩٢٦) وصالح ابن عبد القدّوس قتلهُ المهدي كزنديق وامّا زندقتهُ كانت تقريبهُ الى النصرانيّة . وفي هذه القصّة شاهد على هذا الرأي . امّا راهب الدين المذكور هنا فلا نعرف من امره شيئاً . وما

١) اطلب في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١٠٩٦-١١٠٦) مقالة الشيخ سليم الدحداح في ابرشية الموارنة في بيروت ٢) مكتبة الشرفة غنيّة بالمخطوطات النادرة

لا شك في انّ عدّة من الكلدان النساطرة كانوا دخلوا الصين للتبشير بالمسيح منذ القرن الثامن للميلاد. وقد نشر سيادة المطران بطرس عزيز في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١٠٣٥-١٠٤٣) مقالة تتمة ضمّنها آثار تلك العلاقات بين الكلدان والصين. وجاء في التاريخ ذكر رهبان عادوا من الصين بعد ان سكنوها مدّة. منهم راهب خراساني ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست (ص ٣٤٩) وقال انهُ اجتمع به سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م). ومن ثمّ لا نعدّ القصّة المذكورة هنا كقصّة خياليّة بل كأثر تاريخي وادبي ل. ش

(ص ١) بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد آمين

نبتدئ بعون هذا الاله العظيم ونكتب قصّة صالح ابن عبد القدّوس مع راهب الصين رضي الله عنه آمين

قال الراوي (١ : انني مررتُ براهب من رهبان الصين. فوقفت على باب صومعته فحييتُ (٢ ان افاتحه بالكلام. فناديتهُ: يا راهب فلم يُجبني. فقلتُ: يا ربّان (٣ فلم يخاطبني. فقلتُ: يا عبدالله. فلم يردّ عليَّ الجواب (ص٢). فعظم عليَّ شديدًا كيف اني اروح وما اطّلع على خبره. فقلتُ: بحقّ الذي اوجبك (كذا) الوحدة لا تبخل علي بسماع كلامك. ثم اشرف عليَّ بوجه اصفر وثوب قذر وقال: من هو الذي دعاني بغير اسمي وكنّاني بشيء لا استحقّه؟. فقلتُ: لك اقول. يقال: امّا قولك «يا راهب» فمن هو الراهب؟ الراهب من رَهِبَ الله مولاه في سلطانه، وعظّمهُ في بهائه، ورضي بقضائه، وشكرهُ على نعمائه، وحمده على بلائه، وخضع لربوبيّته، وتواضع لعظمته، وذلّ لقدرته، واستسلم لعزّته، وفكّر في حسابه، وعاقبه يوم عذابه، وذكّر وعدهُ ووعيدهُ، وسلاسلهُ وحديدهُ، وجلالهُ وقيودهُ، وذكر وقوفهُ بين يدي ربّه، يوم يعرض عليه وهو في ليلته قائم، وفي نهاره صائم، قد أحنته العبادة، وأقرح جفونه من كثرة البكاء والاسهار، وذكر النار ومداينة الجبّار، وأقلقه خوفُ العذاب، وأنحلهُ ذكرُ الحساب، فذاك هو الراهب. وانا فلستُ براهب. واما (ص٣) قولك لي «يا ربّان» فمن هو الربّان؟ الربّان مَن رَبَّ (كذا) نفسه من الطعام والطاعم، وتجنّب

١) يريد بالراوي صالحًا ابن عبد القدوس ٢) فاجبتُ
٣) الربّان لفظ سرياني وَضْع تفسيرهُ معلّمنا وهو يطلق على الرهبان عمومًا

من المحارم، حتى يرحم من ظلمه، ويقضي لمن نطقهُ، ويعطي مَن حرمه، ويترك العلوّ والرئاسة حتى تصير نفسه عنده كمثل العبد لصاحبه، فان كان كذا والّا فليس هو بربّان. وانا فلستُ بربّان. واما قولك لي «يا عبدالله» فانا واانت عبيدالله. أما تعلم يا اخي ان الاسماء في هذه الدنيا عاريّة. واما الاسماء فهي اثنان. وهي مكتوبة يوم القيامة. إمّا يقول لي «يا سعيد» وأكون سعيدًا الى الابد. واما يقول لي يا «شقيّ». وأكون شقيًا الى الابد. وانا كواحد من عبيدالله. قلت له: ما اسمك؟ قال: ما اعرف اسمي. قلت: عجبٌ منك فقد خالطك الشيب ولم تعرف اسمك فكيف تعرف نفسك؟. فقال: اعلم اني انا حابسٌ كلّيّ عوّرين نفسي ولساني. حبستهما في هذه الصومعة حتى لا اعثر احدًا من خلق الله بهما واوذيه بشرّهما. فقلت: يا راهب لمن تعبد؟ قال: اعبد الله الذي خلقني وخلقك (ص ٤) من التراب، وجعلنا نطفةً في الاصلاب، ثم نقلنا الى بطون الامّهات، وسكّننا ما بين لحم ودم ومهّدنا الى الاحشاء، ورتّبنا كيف شاء، واخرجنا سويًّا، تبارك الله احسن الخالقين. وقوت الرازقين

قلت: يا راهب أعظيمٌ هو الله؟ قال: يا اخي عظيم هو في مقدرته. وقد قهرتْ عظمتهُ كلّ شيء. يعلم ما يخفى وما يظهر. وما يسرّ وما يُعلن. ويعلم ما في قلوبنا. وما تكتم صدورُنا. ويعلم ما في السموات والارض. ولا يخفى عليه شيء. وهو العليم الكبير

قلت: يا راهب اين الله من قلوب الصالحين؟. قال: يا اخي قلوب الصالحين لا تغرب عنه. وحيث يعلم انهم مشتاقون اليه قد تعلّقوا بحبه، وقد أنستْ ببرّه، وتوكلت عليه ووثقت اليه، وهم يسبّحونه ليلًا ونهارًا. ولا يفترون منه طرفةَ عين. ثم قال لي: يا اخي. حبُّ الدنيا ثبتَ في قلوبكم، وحملتموها على ظهوركم (كذا). وركبت اعناقكم، ودخل حبها في قلوبكم، وكثرت فيها ذنوبكم، واعلم يا اخي ان الدنيا غرّارة منصرفة منقطعة زائلة مائلة، تتقلّب باهلها كيف تشاء، (ص ٥) فمن وثق بها خدعتهُ، ومن انتبها قطعته. ومن اطمأنّ اليها صرعته، ومن اغترّ بها خدعته، ومن اتّكل عليها خذلته، ومن احبّها أعمته عن طريق الصلاح، ومن خدمها اتعبته، ومن جمع مالها افقدته، ومن شرب بكاسها أدمته، والندامة في عمل الخير اورثته، الطوبى لمن تجنّب عن الدنيا وازالها عن قلبه، وتاب الى ربّه من ذنبه، ولا

يواصلها الا ويتركها . وتركها علامات

فقلت : ما هي . قال اولها ترك الحرام في مكسب المال ، والآخر في القيل والقال ، وما اشبه ذلك . وتساوي عندك صديقك وعدوك ، واترك الفضول ، وقلل الرغبة في جمع المال من الحرام ، تواضع تقدام الله وتقدام الناس ، وردّ نظرك من شهوات هذي الدنيا حتى يكون قلبك صافياً ، ولا ترى جميلاً الا وترغب فيه ، ولا ترى قبيحاً الا وتأنف منه ، واحفظ نفسك من الشرور ، وافتح قلبك وابصر ما ينفعك وما يضرك

قلت : يا راهب اخبرني عن العقل . قال : اصلهُ المعرفة وفرعهُ الاعمال . قلت : يا راهب من اين يذوق (ص٦) العبد حلاوة الانس بالله ؟ قال : يا اخي اذا صفت القلوب في محبة الله . فقلت : متى تصفو القلوب في محبة الله ؟ قال : اذا صرفتَ الهمّ عن قلبك . وتبعتَ الله في مكانه في المحبة والطاعة . قلتُ : يا راهب لِمَ قد تخليت بالوحدة ؟ . قال : يا اخي لو ذقتَ حلاوتها لاشتاقت نفسك اليها . فيا فتى الوحدة هي راس العبادة . قلت : يا راهب ما الذي يجد العبد في الوحدة ؟ قال : يجدُ الراحة من مقاساة الناس الاشرار والسلامة من شرورهم . قلتُ : يا راهب بمَ يطيب العيش ؟ قال : بالقنع في المكسب والنظر في الحلال . قلت : يا راهب زدني في الشرح لاني ما افهم ما تقول . قال : كُلْ حلالك وارقد حيث شئت . قلت : يا راهب بما تُقطع الطرق ؟ قال : بالصوم الدائم ، والسهر القائم ، قلتُ : يا راهب اين طريق الراحة ؟ قال : في خلاف الهوى

قلت : يا راهب ما الذي حملك على لبس السواد وهو لبس اهل الحزن والمصيبة ؟ قال : يا اخي ان المرأة اذا خلّى ولدُها اظهرت الحزن بلبس (ص ٧) السواد . قلتُ : يا راهب هل اصابك مصيبة ؟ قال : يا اخي واي مصيبة تكون اعظم من مصيبة الذنوب . قلتُ : يا راهب لِمَ تخليت في هذه الصومعة ؟ قال : يا اخي رأيتُ كلّ من يمشي على الارض يعثر في رجليه . فتعلقتُ بهذه الصومعة لأبعُد عن فتنة مَن في الارض واهلها . لانهم سارقون العقول فخفتُ منهم ان يسرقوا عقلي . وذلك الانسان اذا صفا قلبه ضاقت به الارض وازداد حبًّا الى ربّ العالمين . وتفكرتُ في حبّ المال واحببت ان ارتحل الى ربّ لم يزل بي رحيماً . قلتُ : يا راهب من اين تاكل ؟ قال : من زَرْع لم اتانْ بزرعه ومن نباتٍ لطيف طيّب الخير من خزائن الرحمان التي لا تخاف النقصان . وان الذي خلق الطاحونة هو يأتيها بالطحين . فأنظر الى سنانه

قلت: يا راهب كيف كونك في هذه الصومعة وصبرك فيها وحالك بها؟ قال: يا اخي كيف يكون حال من غفل عن الوعيد، وهو يريد السفر البعيد، بلا زاد ولا استعداد. ويسكن قبراً وحشاً بلا حسّ ولا جليس، ولا حاجب ولا بوّاب، ويقف بين يدَيّ (ص٨) حكيم عادل يحكم بين عبيده بالعدل والقضاء فيقومون بين يديه عراةً قد اذلّهم الكرب واجهدهم العطش. وطال العناء، وكثر البكاء، وفنيت الدموع، وكثر الخشوع، وهجمهم العرق، وهدمهم القلق، وذلّهم الفراق وطال بهم الأرَق، واضطربت المفاصل والاعظام وبرز الفصل والحكم والقضاء. وارتعدت الرُكب واقشعرّت الجلود، واصطكّت الاسنان، واحترقت الاقدام من طول القيام، وبلغت القلوب الى الحناجر، وضاقت الصدور، وتحيرت فيها الامور، وظهرت الجنايات، وبرزت المخبآت، وعرضت السيّآت، وطاشت العقول، وشخصت الابصار الى النظر الى العزيز الجبّار، فلا ارض تقبل ولا سماء يظلّ، ولا جبل يخيّم، ولا شمس تشرق، ولا قمر ينير، ولا كوكب يسير، ولا بحر يجري. وقد اذعن العالمين بالمذلّة، وقد خذلت الارقاب، وذهلت الالباب، وتقطّعت الانساب، وتفارقت الاحزاب، وحُشرت العباد، والجمعت الأشهاد، ونُشرت الاموات، وخشعت الاصوات، وطال الوقوف. واشتدّ الخوف. وتزلزلت الاقدام، وحارت الاوهام، واهتزّت (ص٩) الاركان، وتغيّرت الالوان، وتحيّر الانسان، وخرس اللسان، وانتصب الميزان، ونُشر الديوان، وأوقد الجحيم وأذنت جهنم بالزفير، وحميت بالسعير، وزفرت النار جداً على الكفّار، نار جوهرها وشرارها شديد، وعذابها عتيد، وشرابها بالمهل والصديد، ومقامع الحديد. وما هي من العالمين ببعيد. ولاذ الملك العبيد؟ . فالويل لمن عصاه، فكيف يكون مثواه، والنار مسكنه ومأواه، فيأمر به الزبانية. فيأخذونه ولا يحركونه. فتخلّع بيديهم اعضاؤه، وتتقصّف عظامه وقواه، ويذهبون به مسحوباً، وعلى وجهه مكبوباً، فيوثق بالسلاسل والقيود، ويسربل عليه بالقطران، ويتقدّم معه الشيطان، وتطبق عليه ابواب النيران، فيكون مسكنه الجحيم، وطعامه الزقوم. وشرابه الصديد، فيستغيث فلا يغاث، ويتضرّع فلا يُرحم. فينادي من الكروب. وعلى رأسه بالمقارع مضروب، وعليه العذاب منصوب، ونار الجحيم فوق راسه مكوب (لهُ بقيّة)

الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدمة وثلثة فصول

بقلم المؤرخ مارون غصن (تابع)

الفصل الاول

المرسل

موقع الرواية في مدينة متنالور ، في الهند الانكليزية ، وذلك بعد ١٥ سنة للمقدمة — يمثل المشهد رصيفاً على الطراز الشرقي . قناطر مزخرفة منقشة . في المؤخر منظر الهند والبحر . اشجار . نخيل . غراس هندية . مرتفع . كراسي

المشهد الاول

موريس يزي مجري — ايثون

موريس : دونك مناظر الهند يا معلمي ايثون ! لله ما أحلاها وأبهاها !

ايثون : اذن مناظر الهند تزوقك وتشوقك ؟

موريس : سرح الطرف ، فترى ما يُبهج الناظر ويُدهش الخاطر ! لقد مرّ علينا خمس عشرة سنة ، منذ غادرنا فرنسة ونحن في هذه البلاد نعيش عيش السادات . . . انظر هناك أبنية السيد اوليفيه نوربر ، حيث الكتّاب يقومون بإدارة اعماله الواسعة

ايثون (متأملاً) : كان يُدعى اوليفيه نوربر ، اما في هذه البلاد ، فقد

سئى نفسه اوليڤيه سَنْبَتون . . .

موريس : . . . اوليڤيه صار غنيًا عظيماً . . . وهو الآن لا يكافئ بالريالات كما كان يفعل في قصر روكلور ، بل يجود بأوراق مالية ذات قيمة وافرة

ايڤون : نعم . . . نعم ! قد أدرك ثروة كبيرة ، ولكن لا تنسَ أن سيّدنا المركيز — رحمه الله ! — كان لهُ من أكبر المساعدين

موريس : ومن أعزّ الاصدقاء

ايڤون : وقد ذكره في دقائقه الاخيرة ، حيث ردّد اسمه ثلاث مرّات وقال : « نوربر ! نوربر ! نوربر ! » لقد مرّ على ذلك المشهد سنون وأنا لا أزال في كلّ مساء اتمثله ! يا لها ليلةً قضيناها ساهرين باكين ! انت كنت بعدُ صغيرًا يا موريس

موريس : نعم ، ومع ذلك اتذكّر ذلك المشهد كأنه الآن امامي ! آهٍ من يوزني ! من كان يظنُّ أنه يُقدِم على فعل ما فعل ؟

ايڤون : هو حبُّ المال حملهُ على ارتكاب تلك الجريمة الهائلة

موريس : تذكّر يا ايڤون أنك وبّختني لأني طردتهُ في ذلك المساء لمّا اتى يستعطي . . . آه ! لو عرفتُ أنه كان عازمًا على قتل سيّدنا لكنتُ اختطفتُ روحهُ من جسده ! . . .

ايڤون : ما لك والاموات ! فقد نال القاتل جزاءه ! اجل ناله بكل استحقاق ولم يكن في جريمته شكّ : أمَا لقينا قبعته في غرفة المركيز ، وحذاءهُ على الشرفة ؟ ! . . .

موريس : ثم ألم يجدوهُ غدَ تلك الليلة سكران مضجعاً في كوخ على مائة خطوة من القصر ، ورداؤهُ بالقرب منه ممزّق ؟ كلُّ ذلك برهان واضح على جريمته

ايڤون (بصوت رزين) : أجل ! وقد نظر القضاة في الدعوى وأصدروا الحكم عليه

موريس : لكنّ الخبيث لبث مُصرًّا على الإنكار . . . وأنا لا أزال اتذكره ينادي ويصيح : « أنا بريٌ ! بريٌ أنا ! » والعرق يتصبّب من وجهه وهو يعجّ عجيجاً !

ايڤون : يا لها من ذكرى محزنة ! . . . ونحن ، ما كان حلّ بنا ، لو لم يعطف

علينا السيد اوليفيه ويضننا اليه ؟

موريس : أجل ! ولولا عنايتهُ بي ما صرتُ بحريًا .

ايڤون : وأنا ما تبعتهُ الى هنا الّا لانهُ كان صديقًا لمولانا المركيز ؛ جعل الله نفسه في اخدار النعيم !

موريس : كلّما ذكرتُ هذه الامور أشعر بقلبي يرتجف ! . . . وسيدنا الصغير جوفروا ، كيف ارتمى على جثة ابيه ، واخذ يبكي ويصرخ !

ايڤون : مسكين سيدنا جوفروا ! لكنّ السيد اوليفيه بذل له العناية وكل أسرته الى أقاربهِ أسرة دي بورجون على انّي من ذلك الحين ما عدت عرفتُ له خبرًا . . .

موريس : يأبى السيد اوليفيه أن نأتي بذكرهِ أمامه

ايڤون : السبب واضح ! فان اوليفيه كان لمولانا المركيز صديقًا صدوقًا : فلا يطاوعه قلبهُ ان يتذكّر تلك الفاجعة . . . (سكوت) بلغني ان السيد جوفروا صار كاهنًا . آه ! ما اعظم ما يكون فرحي ، اذا قيّض لي الله أن أراه ، ولو دقيقة قبل موتي !

موريس : من اخبرك انه صار كاهنًا ؟

ايڤون : بدرت كلمة من السيد اوليفيه ، تدلُّ على ذلك ؛ لكني لم اجرؤ على استيضاحه ؛ فهو يعبس كلّما ذكرنا قصر روكلور !

موريس : اخفض الصوت ها هو آتٍ ! أنا ماضٍ الى المرفأ . . . فقد أتاني ان مركبًا افرنسيًا وصل في هذا الليل ؛ وقد طال اشتياقي الى رؤية اهل الوطن ؛ الى اللقاء (يخرج)

المشهد الثاني

اوليفيه — ايڤون

يدخل نوبر (اوليفيه سنبستون) ، وجريدةٌ في يده ، وهو مقطب مغموم

اوليفيه : من كان معك هنا يا ايڤون !

ايڤون : هو ، وريس يا مولاي

اوليڤيه : الى اين ذهب ؟

ايڤون : الى المرفأ ليتفرج على الركاب الآتين من فرنسة

اوليڤيه (على حدة) : في ذهابه شؤم !... سيراه ولا ريب ! (لايڤون) دعني وحدي (ينحني ايڤون ويخرج)

المشهد الثالث

اوليڤيه وحده

اوليڤيه : أجل ! هوَ هو بعينه ! (يقرأ) :

« مساء امس وصلت الباخرة «لالوار» ، وعليها مائتا راكب وعدة مرسلين ، بينهم الاب جوفروا دي تريادان ابنُ المأسوف عليه ، المركيز دي تريادان ، الذي قُتل منذ خمس عشرة سنة ، في قصر روكاور . وهذا الاب هو الوارثُ الوحيدُ لتلك الأسرة الشريفة ، وقد خصص نفسه لله وانتظم في سلك الكهنوت »

هذي ضربةٌ لم تكن في الحساب ! نعم ... هو جوفروا بعينه ... هو ابن فريستي ... بأيِّ وجهٍ أتلقاه ؟... (سكوت) بذلتُ كلَّ جهدي لأتملّص من ذكر تريادان ! ... رحلتُ من الغرب الى أقصى الشرق ... وغيّرتُ اسمي ... كنت اوليڤيه نوبر فصرتُ وليڤيه سنبتون ... انَّ بُورني الذي حسبوهُ قاتل المركيز قد قُتل امام عيني ... أنا الآن غنيٌّ ... ذو ملايين ... وتحتَ حمايةِ انكلترة ... وقاضٍ في مصر ... (بصوت منخفض) ظننتُ أنَّ الماضي قد طواهُ الزمان ... والآن يصلُ إليَّ جوفروا ! ... آه ! انَّ منظرهُ يقذف الرُّوع في قلبي ... كيف ألاقيه وبمَ أحدثه ؟... (يقرأ)

« هو آتٍ ليبشر الهند العليا ! ... (بغضب) اذن ليواصل السير الى هناك فما كنتُ لأسكنهُ عندي ! ألا انَّ ابغضَ شيءٍ الى عينيَّ رؤيةُ ثوب كاهن ! على هذا الثوب اقرأ الحكم عليَّ ! ... (بصوت منخفض) ما الحيلة ؟... آه ! خارت قواي ... (مستشرًا) رأيٌ بدا لي ! ... (بغضب) لا ! وهمٌ وخيال !

وما يُهمني مجيء هذا الكاهن ؟.. ولكنّ أُطلعُ هو على الهوّةِ التي بيني وبينه ؟... وهل هو عارف انّ اليد التي سيصافحها ، قد تلطّخت بدم ابيه ؟... سكّن الروع يا اوليفيه وكن ثابت الجأش ! خمسَ عشرةَ سنةً عبرتْ وسرُّك مطويٌ في صدرك ، فلن تنشرهُ يدُ الدهور !

المشهد الرابع

اوليفيه — موريس — ايفون — جوفروا

موريس : ها هو ! ها هو سيّدنا جوفروا ! ربّاه ! يا لفرح قلبي !

اوليفيه (متظاهراً بالسكينة) : مرحباً بهِ وأهلاً ! أدخله عليّ ...

ايفون : أنت عارف بقدومه ؟

اوليفيه (خارجاً الى جوفروا) : نعم أطلعتني الجريدة على كلّ شيء (يظهر جوفروا) عرفتُك يا جوفروا يا ابن صديقي القديم

جوفروا (متأثّراً) : اللهمّ لك الشكر ! كم من صديق لقيتُ في يوم واحد! اوليفيه صاحبَ الفضل عليّ !

موريس : هذه نعمة ما كنت اتوقّعها !

ايفون (متأثّراً) : ابتِ جوفروا ؟ ربي ! قد أجبتَ سُؤلي !

جوفروا : اعزّاني وأحبّ الناس إليّ ... ما أجمل اللقاء بعد خمس عشرة سنة ! ما أسرع مرور الآباء !...

اوليفيه : لا بدّ ان تكون في حاجة الى الراحة بعد هذا السفر الطويل ..

جوفروا : لا ، لا ! ان لقاءك يُزيل كلّ تعب ... فيك أرى ذاك الذي اذكره كل يوم على مذبح الربّ !...

ايفون : واسيّداه !

جوفروا (لاوليفيه) : أجل ، ايها الصديق ، فان ابي في نزاعه ذكرك ثلاث مرات ... وانا ما كنت لأنسى وصيّته الاخيرة !

اوليفيه (مرتبكاً) : لعلّي قصّرتُ في خدمتك يا جوفروا ... لكنك

تعلم . . . انّ الوقت . . . والاشغال . . .

جوفروا : ماذا تقول ؟ قصرت ؟ أما كنت لي خيرَ مجير وظهير ؟ . . . أما سهرتَ على تهذيبي ، ولو عن بعد ؟ . . . آه ! ان ذكرك وذكر ابي لن يفارقاني ما حييت !

اوليفيه (على حدة) : يا لك من جلّاد ! . . . والجريمة ! . . .

جوفروا (يُقبل على ايڤون) : وأنت يا عزيزي ايڤون ، ألا يشقّ عليك البعد عن الوطن ؟

ايڤون : لا ازال اذكره يا سيّدي . . . انا هنا على خير عند السيّد اوليفيه . . . لكنّ حبّ الوطن يحرّك قلبي . . . ما أعظم فرحي بلقائك ! فكأني الآن في القصر القديم ! . . .

جوفروا : آه ! يا عزيزي ايڤون لو عدتَ اليه . . . فلا ترى هناك الّا قبراً موحشاً !

ايڤون : اما عدتَ ترجع اليه يا سيدي جوفروا ؟

جوفروا : لا ، لم يعدْ لي الآن الّا السعي وراء النفوس ، فحيثما أتى النفوس فهناكَ هناك وطني ! فاليه اطير ، وبه أحلّ ، وفي قلبي تذكارُ من سبقني الى السماء . . . فلا أقف عن الجهاد حتى توقفني المنيّة . . . واذا لم يتزج ترابي بتراب أبي . . . فهناك هناك نجتمع جميعاً . . . ولعلّ هذا الاجتماع غيرُ بعيد . (سكوت ، متجهاً الى اوليفيه) : اوليفيه ما اسعد حظي بلقائك ! لكني لا استطيع البقاء عندك طويلاً . . أنت سعيد غنيّ وجيه . . . وأبي قد بارككَ من أعلى السماء . . . اما انا فقدّري الى جانب المتألمين . . . (بحزم) في هذا المساء أواصلُ السفر .

ايڤون : ما كدتَ تصل يا سيّدي !

اوليفيه (على حدة) : هذا المساء ؟ . . . يا لحسن حظي ! (يرفع صوته) لمَ انت مُعجّل ؟

المشهد الخامس

السابقون — بيرتان

بيرتان (من الخارج) : دعوني أدخل ! أما أنا من اهل البيت ؟

ايفون : القائد الانكليزي

اوليفيه (يخرج للقائه ويقول بغير اضطراب) : أدخل أدخل يا صديقي بيرتان ؛ نعم انت من اهل البيت ؛ وأراني سعيداً بان أعرّفك بالاب جوفروا دي ترعادان

بيرتان (متحنياً) : جوفروا دي ترعادان ؟ ابن صديقك الذي قُتل ؟ . . .

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : نعم وهو آتٍ ليبشر في الهند

بيرتان : وصل في حين الحاجة اليه . (لاوليفيه) : ان الامور ايها الصديق سيئة جداً !

اوليفيه : ماذا حدث ؟

بيرتان : قد اضطربت مدينة « منفالور » كل اضطراب . . . فأصبحنا امام فتنة هائلة !

اوليفيه : قد صحّ ما تشاءمت به منذ ايام حين رُحت أجول في المزارع ، فرأيت العملة يشتغلون بل يتشاغلون ، ولحظتهم ينظرون اليّ شزراً . . . وقد بلغني همسهم وتذمرهم فقلتُ ان في الامر ما فيه ، وان العاصفة تتهيأ

جوفروا : انا رأيت الامر على خلاف ما ذكرت : فقد شاهدتُ حين مروري كثيراً من العمّة يفترون مبتهجين . . . ورأيت ان لهذا الشعب هيئة تدلُّ على تمام الرضا . . .

اوليفيه : ما حان لك ان تطّلع على اخلاق الهنود ! . . . ان في تلك الخلوات محاكمَ سرّية لا نعرف اماكنها ولا اعضاءها . . . فهم يتوارَون في المغاور . وأحشاء الغابات . . . ولهم مجالسُ تُصدرُ أحكاماً مُبرمة ؛ ولهم جلّادون منتشرون في كل مكان يتعارفون باشارة لهم خاصة ، ولهم شعارٌ يتخذونهُ من زهر الخندقوق وهم يميتون المحكوم عليه بالشنق او بالسمّ

بيرتان (متهدداً) : ليأتوا فيروا ما لا يُرضيهم ! فقد احتطتُ للامر وأوصيتُ الجُنود بأن يكونوا على تمام الاهبة

جوفروا : اذن انتم في خطر من هجومهم !

اوليفيه : لا خوف الآن من خطر مفاجئ . . . لكنّ حولنا جيراناً يُخشى

شرهم : فقد امتلأت صدورهم حسدًا مني ؛ وانّ لامير سنبلپور راورو سنجور اراضي متاخمة لاملاكي ؛ وهذا الامير العاتي . . .

بيرتان (باحتقار) امير سنبلپور ؟ هذا البربري ؟ !

اوليفيه : بربري ؟ ! سألتك ان لا تذمت أمراء الهند بهذا النعت . . نعم ان راورو سنجور قد غُصبت بلادهُ وانتزعت السلطة من يده ، ولكن لا يزال تحت إمرته مائةُ الف رجل ، وهم يفدونهُ بارواحهم ؛ وحسبهم منه إشارة !

بيرتان : ولكن لا تنسَ ان هذا الامير يؤدّي الجزية الى عظمة الامبراطورة فكتورية . . .

اوليفيه (برزانة) : ولكن ما يُدريك ما انطوت عليه قلوب هؤلاء الهنود من الحقد والضغينة ؟

جوفروا : ربّي ! اذن يسعني ان أبدأ رسالتي من الآن

اوليفيه : علينا ان نتأهب للطوارئ . ايفون عجّل وانظر هل ابواب منازلي مقفلة . . وقل الحرّاس ليجولوا في المزارع

موريس (داخلًا) : سيدي اوليفيه . . . ان جينور البرهمي ، أخا أجيه ماهال ، يطلب ان يكلمك

اوليفيه : ما يُريد مني ؟

موريس : لا اعلم ؛ وقد حاول ان يدخل معي ، فاقنعتهُ بان ينتظر

اوليفيه : ليدخلْ ! لعلها اوّلُ شرارةٍ من نيران الثورة ؟

المشهد السادس

جينور (يدخل مسرعًا) : نعم ، يا سيدي ، فان النار تكاد تضطرم ، فاسرعتُ اليك لاخبرك ان امير سنبلپور قد وطئ مزارعك . . . وان اخي أجيه ماهال بذل وسعهُ لايقافه فلم يفلح . . . وهو الآن مسرعٌ ، ووراءهُ رجالٌ كثيرون . . .

اوليفيه : ما كنتُ لاتخوّفَ شرّه !

بيرتان : سنرى ما يكون من أمره !

جوفروا : من اي شيء يشكو الامير ؟

جينور : ان بعض العملة الاوربيين من معمل السيد اوليفيه دأسوا هيكل الإلهة دورجا ، فهاج هياج تُباع الامير . فاذا كنت يا سيدي لا تُسأم المذنبين ، جرت الدماء أنهارًا !

اوليفيه (بجدة) : سنرى !

جوفروا : لعلّ هذا الامير يكتفي بتعويض ما فيهدأ غضبه ؟

بيرتان : نحنُ اكبرُ من ذلك ! انن تجرأ وطلب تعويضاً فلا يكون الجواب الّا في افواه المدافع !

اوليفيه : نهنهْ من غربكَ يا صديقي القائد ، فانا أعرفُ براوو سنجور ، فما هو ممّن يهدَّدون ؟ فأطل بالك قليلًا حتى نرى ما يكون منه

المشهد السابع

الامير وحاشيته وهم في ملابس فاخرة

الامير : اوليفيه سنبتون ! انا داخل عليكَ دخول عدوّ ! (حركة اضطراب) نحن ، أبناء الاله «برهما» ، لا نعرف المداهنة والتملّق . لقد غُصبتْ إمارتي غدرًا ، لكني لم انتزل عن حقّي بل غضضت الطرف كي لا أعرّض رجالي لقساوة المغتصبين . أنا ، بموجب الصكّ الذي وقّعتُ عليه ، حليفٌ لانكلترّة لا من تبعتها : اذن فاعلم اني لا أبرح اميرًا !

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : من اي شيء تشكو ؟

الامير : ما اشكو منه لا يخفى عليك ! فقد طالما تغاضيتُ عن شتائمكم . واني لا ازال في سطوة وثروة تعينانني على احتقار كل قباحة واعتداء ! . . . انما أن تتوصلوا الى بثّ روح المعصية والخيانة في قلوب عمالي فهذا ما لا ارضاه !

اوليفيه : في كلامك جرأةٌ وتهديدٌ يا امير ! أتثبتُ ما تدّعيه ؟

الامير : لم أنتهِ ! وان بيننا عهودًا توجب عليكم حُرمة ديننا وحياكلنا . . ورغم ذلك ، قد اتّفق ذوروكم ليلة امس ووطئوا معبد إلهتنا «دورجا» وقت اقامة الحفلات الدينيّة . . .

بيرتان (يقطع عليه الكلام) : ان مفاوركم هي ملاجئ اللصوص والقتلة !

الامير (بعظمة) : انا لا أكلّمك ! وما كنتُ لارضى بان تقطع الكلام عليّ !

بيرتان (على حدة) : لاقطعنّ لسانك قطعاً !

الامير : ان ذويكم قد اهانوا الالهة وضربوا كهنتها !

اوليفيه : دُلّنا على المذنب فنعاقبه !

الامير (بهزء) : نعم تعاقبونه ! تجهلونه يوماً في بعض اقبية منازلكم ، وتتلطّفون في لومه ... وربّما زارني هذا القائد (مشيراً الى بيرتان) وهو بزّته الرسميّة الفاخرة واكتفى بان يعتذر اليّ ...

بيرتان (مغتاظاً) : انا اعتذر اليك ؟ ساء وهمك !

الامير (بهياج عظيم) : انا انا اتعقّب المجرم الاثيم !

اوليفيه (ببرودة) : ما تُريد الآن ؟

الامير : أريد ان يُسلّم الاثيم ... فيكفّر عن جرمه في المكان الذي أذنب فيه ؛ وعلى مذبح الالهة يجري دمهُ حتى آخر قطرة ...

بيرتان (مغضباً) : لقد جاوزت الحدّ !

اوليفيه (بجزم) : حسبُك يا راوو سنجود حسبك ! ما كانت ارادتك شريعةً لي ... ان اذنب احدُ عملتي فانا أعاقبه ... اما أن ادفعهُ الى جلّاديك فهذا لن يكون !

الامير : انا لا أنتظر ذلك بل آمرك به امرًا ! والويلُ لك ان خالفت !

اوليفيه : او تظنني أخشى وعيدك ؟

الامير (يدنو منه على مهل ويحدّق الى عينيه ويقول له بصوت منخفض) : هنيئاً لذوي القلوب القويّة !

اوليفيه (منصتاً) : ألتلي تقول هذا الكلام ؟

الامير (بصولة) : في عينيك شرارُ النار المضطرمة في نفسك ... اوليفيه سمبتون ! قلت لك : أُريد ! (اوليفيه يهزّ كتفيه) تأبى اجراء العدل ؟ اذن تأهبوا لحرب لا شفقة فيها ولا رحمة !

جوفروا (يتجهني امام الامير) : ايها الامير ! جنديٌ انا ايضاً ، جنديُ الايمان والتبشير ؛ واني لآسف على تدنيس الهيكل فان تعليم الحقيقة لا يكون بالقسر والشدة ... لكنّ الغضب لا ينتج منهُ الّا الشرّ ! فاصغِ اليّ ايها الامير ...

الامير (بصوت هادئ) : لأنت صادق النية ، عذبُ الكلام . . . لكن ابن البراهمة لا يسعهُ غضُّ الطرف عما جرى !

جوفروا : ايها الامير ان الدم لا يمحو هذه الجريمة ! وان الحلم على العظمة أدلّ . . . فتنازلْ وأجبْ سؤلي . وانا في التماسي منك المغفرة اقوم بواجب رسالتي

الامير : كريمُ خلالك يدفعني الى احترامك ياكاهن ! أجل ارى فيك فضيلة وانتداباً في سبيل دينك . . . لأنت حقاً باسل ! ولكن اسنا الان في صدد الكلام عن رسالتك ! (يدل على اوليفيه) انما اتيتُ لارى ما جواب هذا !

اوليفيه (بكبرياء) : جوابي عرفتهُ يا راوو سنجور ! وما كنت لأهاب تهديد علج بربري ! . . .

بيرتان (بغضب) : أجل . هذا جوابنا ! ولا تنسَ ، يا راوو سنجور انك تحت ولاية انكلترة وانك من رعايا الملكة ڤكتورية : فكلامك الآن اعظم دليل على انك غير اهل لهذه الشارات التي جادت بها عليك !

الامير (ساخطاً) : انا من رعايا مليكتك ؟ . . . ألا فاعلم اني لست تحت سلطة احد ! (ينتزع عن صدره الاوسمة والشارات الانكليزية) لقد اخطأتُ في تنازلي لقبول هذه الخزعبلات . . . نحن اشرف سُلالة في الارض ، اكبر من ان نعبأ بامثال هذه الاوسمة ! (يرميها على الارض باحتقار) هيا التقطوها !

بيرتان (مستمراً غضباً) : اهانةٌ ! . . . وخيانةٌ ! . . . وعصيان !

الامير (هائجاً) : قد غضب مني الانكليز امارة سمباپور ! فلأنتزعنَّ من يدهم الهند كلها عنوة ! فما هي غير ايام حتى تثور عليكم بلاد الهند ثورة ترتاع منها الانام فتفر الى اقاصي الصحراء هاربةً من قعقعة سلاحنا ! . . . ان الاهانة التي صفعتموني بها ليس لكم وراءها الّا الموت الزؤام ! (يخرج هو وحاشيته)

المشهد الثامن

السابقون غير الهنود

اوليفيه : يا لهُ من وقح !

بيرتان : يحتقر مليكتي امامي ؟

جوفروا (على حدة) : ليت شعري ما تكون عاقبة هذه الامور ؟

بيرتان : لنأخذ للامر اهبته ! (يجلس الى المرفع ويكتب) ... برقيةٌ الى بُمباي ... رسالة الى حصن ڤكتورية ... إشعارٌ الى الحاكم العام

اوليڤيه (مفكرًا) : أما كان الأولى ان نجيب طلبه ؟...

موريس (داخلًا) : اذن بدأت الحرب سيدي ؟

بيرتان : اجل ! الحرب لن يُريد الحرب !

اوليڤيه (يفيق من تفكره) : أجل ! لا بدّ من المغامرة في هذه الحياة ، فإما فلاحًا ، واما يأسًا او موتًا !

جوفروا (يدنو من اوليڤيه) : اوليڤيه أراك واجمًا ... كنتُ قد عزمت على السفر في هذا المساء ... امّا الآن فان معرفة الجميل تُوجب عليَّ ان ابقى معك أُعينك وأخفّف عنك ...

اوليڤيه (على حدة) ... : هو ؟ هو ؟ ... آه ! ...

المشهد التاسع

السابقون — جينور

جينور : مولاي ... ان الامير لذو صولةٍ وشوكة ... وان لك اعداء في منزلك ... فاسهر كل السهر ... واذا بدا لكم ان تفرّوا وجدتم في منزل «جينور وأخي ماهل» ملجأً امينًا

اوليڤيه (بعجلة) : اشكرك !

بيرتان (ينهض) : عليَّ الآن ان اصدَّ العدوّ عن التجمّع ! (يخرج)

المشهد العاشر

يبقى اوليڤيه مفكرًا

اوليڤيه (بصوت منخفض) : حدّثتني النفس بان مجيء جوفروا هذا سيجرّ علينا الويلات ... (يُرخي الستار)

(لها بقية)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء الشام المشهورون

﴿الشيخ حسين الجسر﴾ توفي هذا العالم الاديب في ١٣ رجب ١٣٢٧ (٢٩ تموز ١٩٠٩) كان احد مشاهير اعلام طرابلس الشام ولد فيها سنة ١٢٦١ (١٨٤٥م) وتخرّج على ادباء وطنه ثمّ على اساتذة الازهر . وأبى عاد الى طرابلس درس العلوم العصريّة ثمّ قضى عمره في التأليف والتصنيف والنثر والنظم ودرّس عدّة سنين في المدرسة الوطنيّة فاخذ عنهُ كثيرون من ادبائها ثمّ اصدر جريدة طرابلس فحرّرها زمناً طويلاً . لهُ ما خلا بعض التآليف الدينيّة كتاب في مناقب والده الشيخ محمّد الجسر ومجموعة ادبيّة في عدّة مجلّدات سمّاها رياض طرابلس الشام ثمّ رسائل ادبيّة وسياسيّة ومنظومات في التربية . وممّا لم يُطبع كتاب الكواكب الدرّية في الفنون الادبيّة . رثاهُ صاحب الرغائب حكمت شريف بقصيدة اوّلها :

خَطْبَ الحُسَين أرى ام جسرُنا انتقضا ام طَوْدُ علم لجنّات النعيم مضى
ارّاهُ من زمنٍ قد دكّ جِسْرَ تُقىً وهدّ ركناً من الآداب حين قضى

وفي العام الثاني في تشرين الاوّل سنة ١٩١٠ اصابت المنون ﴿صادق باشا العظم﴾ من وجوه دمشق الشام . تلقّى العلوم في وطنه ثمّ درّس مدّة في كليّتنا اليسوعيّة . وقف نفسهُ في إثرها لخدمة الدولة العثمانيّة فترقّى في مناصبها العسكريّة بصفة ضابط الى امارة لواء وقول اغاسي . ثمّ انتدبتهُ الحكومة لمهمّات عند الشيخ السنوسي وأرسل معتمداً عثمانيّاً الى عاصمة البلغار . ولمّا قصدت الدولة ان تنشئ بينها

وبين ملك الحبشة منليك علائق ودّية ارسلتهُ كرئيس وفدٍ فكتب تفاصيل رحلته ونشرها بالطبع وألّف ايضاً تاريخ دفاع باثنا ولهُ رحلة الى الصحراء وادبيّات شتى تركيّة وعربيّة . وحرّر مع ابن عمهِ رفيق بك العظم بالعربيّة والتركيّة جريدة الشورى العثمانيّة ارجبت فرارَهُ من الاستانة الى القطر المصري فعلّم زمناً في المدرسة التوفيقيّة ثمّ عاد الى الوطن بعد اعلان الدستور فما لبث ان ودّع الحياة

وفي سنة وفاة صادق بك العظم توفي الكاتب النحرير ﴿ الشيخ ابو حسن الكستي ﴾ وقد سبقت ترجمتهُ في القسم الثاني من كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (ص ٧٩ — ٨١) ذكرناهُ مع رصيفَيهِ الشيخين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب وقد جعلنا هناك وفاتهُ سنة ١٩٠٩ والصواب ١٩١٠

ومِمَّن عظم على الادباء نعيُهُ سنة ١٩١١ ﴿ السيّد حسين وصفي رضا ﴾ شقيق السيّد محمّد رشيد رضا صاحب مجلّة المنار المولود في اوائل سنة ١٨٨٢ مات في تمام شبابهِ وكان درس على علماء وطنهِ مشايخ الازهر العلوم الدينيّة والادبيّة وبرع في الكتابة فشارك اخاهُ في تحرير المنار وفي اصلاح امور الاسلام

وفي ٢٥ تموز سنة ١٩١٣ فُجعت فلسطين باحد رجالها المعدودين ﴿ روحي بك الخالدي ﴾ سليل أسرة قديمة في القدس الشريف كان والدهُ سنة ١٨٦٤ وتلقّى مبادئ العلوم في وطنهِ ثم في نابلس وطرابلس وفي المدرسة السلطانيّة في بيروت ثمّ انكبّ على الدروس الفلسفيّة والحقوقيّة والسياسيّة في الاستانة وفي باريس حيث اجتمع بعلماء الفرنج فعرفوا قدرهُ . وانتدبهُ الفرنسويون الى التعليم في مدرسة اللغات الاجنبية في باريس وكان احد اعضاء مؤتمر المستشرقين فيها سنة ١٨٩٧ . ثم اختارتهُ الدولة التركية كقنصلها في مدينة بردو عدّة سنين فاطّلع على احوال الفرنسويين وآدابهم . وألّف وقتئذٍ كتابهُ علم الادب عند الفرنج والعرب . ولمّا حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ انتخبهُ مواطنوهُ نائبهم القدس الشريف وقُلّد بين وصفائهِ وظيفة الرئيس الثاني لمجلس النوّاب وبعد انحلال المجلس عاد الى القدس ثمّ كرّ راجعاً الى الاستانة وفيها توفي بالحمّى التيفوئيديّة وهو في الخمسين من عمرهِ . وكان روحي الخالدي كاتباً بارعاً لهُ عدّة مقالات ومحاضرات ورسائل متفرّقة نشرها في صحف مختلفة . ومن آثارهِ تاريخ الانقلاب العثماني وكتاب العالم الاسلامي . ولهُ ايضاً رحلة

الى الاندلس ذكر فيها بقايا آثار العرب لم تُطبع

وفي السنة التالية ١٩١٤ فقد المسلمون رجلين من نخبة علمائهم ﴿السيد جمال الدين القاسمي﴾ ثم ﴿محي الدين الخياط﴾ عُرف الاوّل بتآليفه الدينيّة التي جعلته في مقدّمة علماء دمشق المعدودين. وقد امتاز عن كثيرين منهم باستقلاله عن النوافل والفضوليات وخلوّه من تضليل المُخرفين والمهرفين. ولم يكتفِ بالوقوف على اسرار الشريعة بل درس ايضاً العلوم العصريّة وبها ظهر فضل طريقته العلمية. وتمّا قالهُ جرجي افندي الحدّاد في رثائه :

نَمْ يا جمالَ الدين غير مُرَوَّعٍ انَّ الزمان بما ابتنيتَ كفيلُ
فستعرفُ الاجيالُ فضلَكَ في غدٍ ان كان لم يعرفهُ هذا الجيلُ

امّا الشيخ محي الدين الخياط فكان مولدهُ في صيداء سنة ١٨٧٥ وقدم الى بيروت فتعلّم في مدارسها واخذ عن الشيخين الكبيرين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب ونبغ في الآداب حتى اصبح من خيرة ادباء المسلمين في بيروت. وكان ذا روح حرّة وله كتابات عديدة نثريّة ونظميّة في الصحائف البيروتية الاسلامية لاسيما ثمرات الفنون والإقبال. ومن فضلهِ على الناشئة عدّة تآليف وضعها للمدارس في البلاد العربية كدروس القراءة ودروس الصرف والنحو ودروس التاريخ الاسلامي ودروس الفقه. وقد فسّر تفسيراً خفيفاً الغريب من ديوانَيْ ابي تمّام وابن المعتزّ وله تعليق على شرح نهج البلاغة وعرّب رواية الوطن للكاتب التركي نامق كمال بك. توفي في نيسان ١٩١٤

وكانت السنة ١٩١٦ سنة مشئومة على الآداب العربية قُتل فيها ظلماً بامر جمال باشا وحزبه (الاتحاد والترقي) جملة من نخبة الكتبة واهل الادب نصارى ومسلمين . ونذكر هنا المسلمين منهم الذين تركوا آثاراً من اقلامهم . واخصّهم ﴿السيد عبد الحميد الزهراوي﴾ مولود حمص سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) تنقّل في البلاد لطلب العلوم ونشأ حرّ الافكار دون تطرُّف ولا تذلُّل واصدر في وطنهِ جريدةَ المعلومات فلم يَرُق اساوبهُ في عين عبد الحميد فأبعده الى دمشق ثمّ الى حمص تحت المراقبة الى ان امكنهُ الفرار الى مصر سنة ١٩٠٢ فحرّر في المؤيد وفي الجريدة. ولما

وقع الانقلاب العثماني اختارهُ الحمصيُّون كبعوث مدينتهم الى الاستانة وعاين ما حدث هناك من القلاقل وعاد الى مصر فانشأ جريدة الحضارة. ورئس اخيرًا في باريس الوفد الطالب اللامركزيَّة فكان في المؤتمر المنعقد هناك بمثابة الدماغ من الجسد. وبفعله أوغر عليهِ جدود اهل دولته فاحتالوا عليهِ حتى ارجعوهُ الى بلادهِ وحكم عليهِ جمال باشا بالاعدام في دمشق في ٦ أيار سنة ١٩١٦. وكان الزهراوي لبنانًا وخطيبًا محنكًا. ولهُ شعر حسن. منهُ قولهُ:

ما انتَ يا انسانُ هل تدري دماغُك لِمْ شُعِرْ
دَعْ عنك دعوى واسمع قولًا مفيدًا مختصَرْ
الناس هاموا في الغرو ر وراجعون الى القرَرْ
ويرى بنو الانسانِ اقْسمُ خلاصةُ ما قُطِرْ
دعوى بما يَدَّعون ما يلقَوْن من تعبٍ وضرْ
فتسلَّ فيما اعلَمْتَ ان فكَّرتَ فيما قد حضرْ
واعبر على المنياس من ماضٍ الى ما يُنتظَرْ
واعلم بانَّ المفلحين يذي الحياةِ اولو البصرْ
والكون ظُرْفُ جواهرٍ والسرُّ فيهِ ما ظهرْ

وقُتل مثلهُ شنقًا في ذلك اليوم في بيروت اديب آخر ﴿عبد الغني العُرَيسي﴾ المولود سنة ١٨٩١ درس في مدارس بيروت وخصوصًا في المدرسة العثمانية لمؤسسها الشيخ عباس الازهري ثمَّ علَّم فيها سنتين. ثم انقطع الى الكتابة فاصدر جريدة المفيد أيَّد فيها النهضة العربية وأثار عليهِ غضب الاتراك حتى تسنَّى لجمال باشا ان يلقي عليه القبض فذهب ضحيَّة الاستبداد. ومن آثارهِ الادبية طبعهُ لديوان الطويراني ثمرة الحياة وتعريبهُ لكتاب البئين لبول دومر

وذهب معهُ ضحيَّة تلك النكبة ﴿الشيخ احمد طبَّارة﴾ احد ادباء بيروت ووجهائها. اصاب لهُ في الصحافة ذكرًا طيبًا فحرَّر في اول عهد الدستور جريدة الاصلاح فكان لها وقعٌ كبير في قلوب العرب السوريين. ثم انشأ جريدة الاتحاد العثماني فامتازت بحسن انشائها. وحضر في باريس المؤتمر العربي السوري وكان احد اعضائه العاملين فنقم عليهِ جمال باشا وذوروه فحُكم عليهِ بالاعدام

وفي السنة ١٩١٧ اختارت المنون احد ادباء الدروز ﴿محمد ابا عزّ الدين﴾ كان كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافيّة في جبل لبنان ثم تعيّن رئيساً لمحكمة الشوف. كان يُجيد الكتابة ويراسل الصحف السيّارة وله عدّة مقالات وقصائد أعرب فيها عن حسن ذوق ومعرفة بفنون الانشاء. نشرنا له مقالة مستجادة في المشرق ٢[١٨٩٩: ٥٣٦] تحت عنوان «شهيد العلم»

وفي تلك السنة ايضاً فقدت الاسرة الرافعيّة الشريفة ومدينة طرابلس رجلاً من اعيانها ﴿الشيخ محمّد كامل الرافعي﴾. اخذ العلوم الدينيّة والادبيّة عن علماء طرابلس ثمّ قصد مصر ودرس في الازهر. ولما عاد الى وطنه تولّى فيه تدريس العلوم الدينيّة وتخصّص بعلوم الدين الاسلامي. ومن مآثره الادبيّة شرحه لديوان اخيه الشاعر الكبير مصطفى صادق الرافعي في ثلثة اجزاء طُبع في مصر. وكان الشيخ محمد يعيش بعيشة الزهد لا يخفل بمعاشرة الكبار والذوات ويفضّل العزلة حتى انه ردّ زيارة متصرّف طرابلس التركي فلم يقبله في بيته

وفي اوائل السنة ١٩١٨ قبل نهاية الحرب الكونيّة باشهر علمنا بالاسف وفاة احد شيوخ دمشق الافاضل ﴿الشيخ عبد الرزّاق البيطار﴾ المولود سنة ١٨٣٧. وكنّا اجتمعنا به غير مرّة وعرفنا فضلهُ الواسع وسعة معارفه وطول باعه في التاريخ والموسيقى وفنون الادب. خلّف آثارًا حسنة في الموضوعات الدينيّة والصوفيّة والتاريخيّة. له كتاب نفيس دعاهُ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. وقد أدّت بالشيخ معارفهُ الى انهُ تحرّر من قيود التقييد ونبذ كثيرًا ممّا كشفت لهُ العلوم الحديثة بطلانهُ

وتبعهُ بعد قليل الى القبر في ذات السنة اديب من اهل بيروت المسلمين ﴿بشير رمضان﴾ صاحب مجلّة الكوثر انشأها بعد الاعلان بالدستور سنة ١٩٠٩ واودعها عدّة فصول ومقالات حسنة. قد حرّر مدّة في مطبعة الولاية ومن آثاره منتخبات شعرية وقصائد من نظمه

ادباء المسلمين في العراق والهند

اجاب الى دعوة ربه في هذه الحقبة الثانية رجل من ادباء العراق نعتّهُ ناشر

ديوانهِ «باشعر شعراء الشرق امس واكبر علماء اليوم» نعني بهِ السيّد ﴿محمد سعيد حبوبي الحسني﴾ احد علماء الشيعة. كان مولدهُ في النجف ونشأ بين اسرتهِ في بلاد نجد ثم عاد الى وطنهِ وتعاطى الكتابة ونظم الشعر فعُدَّ من زعماء النهضة الادبيَّة في العراق ومات في الناصريَّة قرب النجف بعد ان دعا مواطنيهِ الى الدفاع عن الوطن بالجهاد في ٢ شعبان ١٣٣٣ (ايار ١٩١٦م). وشعرهُ فطري رقيق يجمع بين السهولة والمتانة ولهُ موشحات بديعة جارى فيها موشحات الاندلسيين. وقد طُبع ديوانهُ في بيروت في المطبعة الاهليَّة سنة ١٣٣١. ودونك مثالًا من شعرهِ يرثي بعض الاعاظم:

ألا ايها النادي وليتكَ سامعٌ ... اذا ما دعا الداعي ألا ايها النادي
بودّيَ لو تدنو فتسمعَ لوعتي ... عليك ولو تُصغي فتسمعَ انشادي
قضيتَ وما عهدُ الدموع بمُنقضٍ ... وثار الجوى يشوي الضلوعَ بايقادِ
كأنَّ ندى كفّيكَ عاد لأعينٍ ... ونارَ قراك اليوم عادت لاكبادِ
فيا عبرتَيْ عينَيَّ جودا فنيكما ... اذا لم تساعدني الاحبَّةُ إسعادي
ويا أيها اللاحي رويدكَ لاحيًا ... فانَّك في وادٍ وانيَ في وادِ
ولو قد عرفتَ الحبَّ معرفتي بهِ ... لأقصرتَ إقصاري وأنجدتَ إنجادي

وصرعت المنون في الهند في هذه الحقبة احد معالم المسلمين ﴿الشيخ شبلي النعماني﴾ توفّاهُ الله بعد اعلان الحرب الكونيَّة بقليل (١٨ ت٢ ١٩١٤) تعلَّمَ العلوم وساح في البلاد الاسلاميَّة فدرس الطباع واطّلع على احوال العصر. ولمَّا عاد الى وطنهِ عُهد اليهِ التعليم في كليَّة عليكده فعُدَّ من كبار علماء بلاده وكان يعرف الهنديَّة والفارسيَّة والعربيَّة يحسنها كلَّها. وقد تخصَّص في وطنهِ لاصلاح المسلمين في الهند. ولهُ مصنَّفات مشكورة في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين الفارسيَّة والهنديَّة. ومن تاليفهِ في العربيَّة تاريخ الخليفة عمر بن الخطَّاب كتبها على صورة عصريَّة. ولهُ ردٌّ على كتاب المرحوم جرجي زيدان تاريخ التمدُّن الاسلامي. ورسالة في الجزية وكان يشتغل قبل موتهِ بسيرة رسول الاسلام. توفي عن ٦٥ سنة

وفي السنة ١٩١٧ توفي في تونس احد ادبائها المسلمين ﴿علي ابو شوشة﴾ صاحب جريدتها الرسميَّة المعروفة بالرائد التونسي وهي اوَّل جريدة ظهرت هناك سنة ١٨٦١

(لهُ تابع)

نظر عامّ

في الاكتشافات العلميّة الحديثة

للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿علم الآثار﴾

١ كان لاكتشاف قبر «توت عنخ امون» في وادي الملوك في مصر صدى عجب واندهاش أنسى كل الاكتشافات السابقة مع عظم شأنها لان هذا القبر هو الوحيد من جنسه الذي لم ينتهك اللصوص قديماً حرمتهُ وسَلِمت كلُّ كنوزه التي تُوقف تماماً ارباب العلوم المصريّة على ما بلغ وادي النيل من الرقي العجيب في الصناعة والفنون الجميلة. فانَّ ما وجد من القطع الفنيّة والآثار المختلفة تُعَدّ بالمئات وتبهر نظر كل الزوّار فان هناك آنيةً من الذهب الخالص والاخشاب الثمينة وضروب الرخام والصيني وكل اثاث بيوت الملوك مما لم يوجد مثلهُ في قصور الدول. وهناك ايضاً كتابات وآثار دينيّة جميلة تُطلع العلماء على معلومات هامّة. هذا فضلاً عن النواويس التي أُودع فيها موميا الملك وما ازدان به شخصهُ من الجواهر والحلي الثمينة. وسيفتح هذا الاكتشاف عصراً جديداً للدروس المصريّة القديمة. وقد مات مكتشف هذه الكنوز اللورد كرنارفون قبل ان يحظى بمشاهدة معظم روائعها تمتع بروئيتها زميلهُ كارتر

٢ انَّ كثيراً من الآثار الحثيّة وُجدت في جهات انقرة ولذلك يريد الاتراك ان يقيموا لها في عاصمتهم متحفاً خاصًّا. والظنون انَّ انقرة عينها قد بُنيت فوق اطلال مدينة حثيّة قديمة. وبقربها على مسافة كيلومترين منها شرقاً وجد المسيو جورج بردُ ذاك التمثال العجيب المثّل اسدًا فاتحاً فاهُ منقوراً في صخر وهو اليوم في متحف الاستانة. وكذلك على مسافة قريبة منها وجد في جاور كالسي تمثال احد ملوك الحثيين. وفي شرقيها قلعة بوغاص كوي التي اكتشف كنوزها الاثريّة المسيو تشكلر ومكريدي بك مع كتابات حثية بالحرف المساري تمكّنوا من قراءتها

٣ قد اكتشف علماء اميركة في دولة تيراكروز قريباً من مدينة اوريزابا مدينة سابقة لعهد التاريخ فيها ابنية عظيمة واستحكامات وكتابات بقلم مجهول وهي تشغل ستّة كيلومترات مربّعة

٤ ﴿اكتشاف اسوار القدس القديمة﴾ أظهرت في العام الماضي حفريّات الانكليز في القدس سور المدينة الشرقي الراقي الى زمن الملك والنبي داود فاذا هو بناء جليل لا شبه له بين استحكامات فلسطين القديمة. فانّ هذا السور يزيد علوّهُ عن عشرين قدماً في مثلها سمكاً تدعمهُ اربعة ابراج ضخمة احدث بناء. فكان لهذا الاكتشاف شأن عظيم لمعرفة اورشليم القديمة

٥ ﴿مرسح جرش﴾ هذا المرسح (او قل المسرح) قد اعاد اليه رونقهُ المهندس الانكليزي هرشفلد. ويحيط بساحته ١٤ عموداً ذات قطعة واحدة. وهو من اجمل المراسح المشيّدة في العهد اليوناني الروماني. وعلى ابوابهِ الثلثة كتابات وتماثيل جميلة

٦ ﴿هيكل بيسان﴾ اكتشفت البعثة الاميركيّة البنسلفانية في ١٣ ايلول السابق هيكل للالهة الفينيقية عشتروت وهو مستطيل يسند سقفهُ ستّة اعمدة. وقد وُجدت في الهيكل آنية مختلفة والبناء يرقى الى السلالة المصرية التاسعة عشرة

٧ ﴿هيكل بخوس في بعلبك﴾ الشائع بين العلماء الى هذه السنين الاخيرة ان الهيكل الصغير القائم في بعلبك بجانب هيكل جوبيتر البعلبكي كان مشيّداً لتذكر الاله بخوس لما حول بابهِ من اغصان الكرم المرموز بها الى بخوس إلّا ان احد العلماء المحدثين المسيو تيرش (M. Thiersch) اثبت ان نقوشاً عديدة تزين هذا الهيكل لا توافق الاله بخوس لاسيما صور بعض الحيوانات كالثور والاسد ونبات الخشخاش والسنبل فيستدلّ من ذلك انّ الهيكل كان مبنيًا للالهة اترغاتيس وزوجة جوبيتر وهو الاله هدد السوري

٨ ﴿كتابات اثريّة في دمشق﴾ وقف حضرة الاب ، وتر في متحف دمشق على ٥٠ كتابة يونانيّة نُقلت اليها من انحاء الشام وحوران وكلُّها تفيد تاريخ بلادنا وقد فسّرها مع صورها في مجلة Syria وشرحها شرحاً وافياً استحسنهُ كبار الأثريين. ومن جملتها كتابة الاله مناف التي نشرناها في المشرق السابق

٩ الحفريّات التي باشرها الايطاليُّون في طرابلس الغرب اوقفتهم على مدينة

كانت طلعتها الرمال وحجبتها عن العيان وهي المدينة المعروفة بلبتيس الكبرى (Leptis Magna) ولد فيها الامبراطور سبتيميوس ساويروس فأقبل على تزيينها بالابنية الجليلة حتى اصبحت من اكبر حواضر افريقية الشمالية. قلنا ازالوا عنها الرمال ظهرت بكل محاسنها وابنيتها الرومانية العجيبة مع عدد لا يحصى من التماثيل النفيسة وقد يقابلون بينها وبين آثار بعلبك الشهيرة

١٠ افادت المجلات العلمية في العام الماضي ان حفريات مهمة تحت كنيسة ريمس الكاتدرائية التي خرّب الالمان منها قسماً أظهرت بقايا الكنيسة التي انشأها القديس نيكازيوس اسقفها في اواخر القرن الرابع والتي فيها تعمّد كلوفيس اوّل ملوك فرنسة في السنة ٤٩٦. وهذه الكنيسة كانت على طرز الابنية الرومانية الفخمة وتدلُّ على براعة اهل ذلك العهد القديم بالبناء. وفي القرن التاسع اذ تلفت الكنيسة بفعل الزمان بُنيت في مكانها الكاتدرائية الجديدة المعدودة كآية في الهندسة

الكيميا والطبيعيات وعلم الحياة

١ ان الكيميين قد بلغوا في تحليل المادّة الى حدّ لم يخطر على بال القدماء. فالمادّة على قولهم تتركّب من عنصرَين او كهربائيّتين كهربائيّة سلبيّة يدعونها إلكترونَ وهي قوّة مجرّدة عن المادّة وكهربائيّة ايجابية تتكوّن من نواة هيدروجين مادّية ايجابيّة يدعونها بروتون تحيط بها ألكترونات سلبية ولا يبعد هذا المذهب عن المذهب الفلسفي الارسطوطالي القائل انّ المادّة تتركّب من هيولي وصورة

٢ ان ابحاث الكيميين في تركيب الاجسام قد بيّنت لهم وحدة المادّة الاصليّة التي منها تركّبت العناصر التي لم يتمكّنوا اليوم من حلّها. وانّما وجدوا ان الزئبق يتحوّل الى ذهب وانّ عنصر الراديوم يتحوّل الى عنصر آخر وهو الهيليوم وحلّلوا فتحوّل الرصاص الى زئبق وثاليوم. على انّ هذه التحليلات تحتاج الى عوامل قويّة لتصبح ذات فائدة مذكورة

٣ احتفلت لندرة في ١٦ حزيران الماضي باكتشاف الكيموي الانكليزي فاراداي للبترين قبل مئة عام اذ انتزعهُ من كبور الهيدروجين وهو الغاز الذي يدفع اليوم السيارات ويستعمل في مصانع عديدة. وقد أدّى اكتشافهُ الى اكتشاف التروبترين

وبواسطتها الى الانيلين المستعملة لتلوين عدَّة موادّ وللعجائن الطبيَّة والى استحضار الدهون والكاوتشوك

٤ بين الاشعَّة التي يحلّلها الموشور النورُ الواقع وراء البنفسجي ومن الممكن ايضاً ان يُنشأ صناعيًّا بواسطة مصباح يتركّب من الكوارتز ذي بخار زئبقي. فقد جرّبوا هذه الاشعَّة على عدَّة حيوانات كفئران وخنازير هنديَّة هزيلة مسلولة فكانت تُعرض ايّاماً على الاشعَّة المذكورة مدَّة ثلث او اربع دقائق فما كانت تلبث ان تقوى وتسلم من ضعفها بعد قليل. والامل معقود على معالجة المسلولين لشفائهم بهذا النور

٥ ظهرت في هذه السنين الاخيرة عدَّة تآليف ورد فيها وصف الايطالي الشهير ليوناردو دي ڤنسي في القسم الاوّل من اواخر القرن الخامس عشر واختراعاته العجيبة في العلوم الطبيعية ومن جملتها الطَّيران سواء كان بواسطة الغازات ام بالطيران دون محرّك مع عدَّة اختبارات كان يجريها في ذلك. ومن ثمّ يتَّضح انهُ سبق بنيّف ومائة سنة اساطين العلوم الطبيعية. وفي كتاباته ما يُشعر بدرسهِ تآليف مَنْ سبقهُ من العلماء

٦ طار الايطاليّان بيندار وكبانلي من رومية الى طوكيو على طيّارة جوّيَّة مائيّة فقطعا ٥٥٧٠٥٥ كيلومترًا بسبع وثلاثين مرحلة. ودار الطيّاران كامل وارتشرف حول اوربَّة في ٣٩ ساعة ونصف في شهر آب

٧ اكتشف العلّامة الانكليزي سر فرنسيس فوكس في مكتبة لندن الرسالة التي ورد فيها خبر احد التوتيين الذي بلغهُ موت كبير قبل سنين ثم خرج من بطنهِ حيًّا بعد ٤٨ ساعة وقد كان لهذا الخبر عند وقوعهِ تأثير كبير في اوربَّة واهتمَّ بهِ اللاهوتيون لبيان صحة خبر يونان النبي

٨ انَّ العرب في اسفارهم البحرية في القرون الوسطى ذكروا بين ما وجدوهُ من الحيوانات البحريَّة حيَّة البحر فوصفوها وصفاً عدَّه العلماء مدَّة سنين عديدة كحديث خرافة. وفي العام الماضي قد وقف الفرنسويون في بحر الصين على حيَّة بحرية يكاد يبلغ طولها ٢٠ مترًا — وقد وجدوا ايضاً حوتاً كبيرًا يبلغ خمسة امتار من جنس سمك كان يُعدّ مفقودًا في الارض ومحجّرًا فقط

٩ توفي في العام الماضي الدكتور الفرنسوي برغونيه (Bergognié) من مكتب باستور ضحية اختباراتهِ لعنصر الراديوم وقد اراد ان تُعطى جثتهُ لمكتب الطب في

بوردو ليدرس العلماء بتشريحها آثار الراديوم فيها

١٠ انّ الخلايا التي يتركب منها جسم الانسان تتوالى فيها في كل دقيقة عناصر الحياة والموت. وقد قاس الدكتور اونو الياباني كُرات الدم الحمراء التي تحيا وتموت في الجسم كل يوم فاذا هي تبلغ نحو ٥٠٠ مليون في ٢٤ ساعة فالحياة الماديّة الّا سلسلة متواصلة ذات حلقات تتوالى بين نشأة وفناء الى ان يغلب عليها الفناء

الجغرافيّة والجيولوجيّة

١ معلوم انّ الطيار النروجي امُندسن كان اوّل من بلغ القطب الجنوبي فاراد ان يُضيف الى مجده هذا مجدًا آخر فيبلغ القطب الشمالي بطريقة الطيران. وكان الاميركاني روبير ادڤن پيري قد بلغ ذلك القطب بحرًا في ٧ نيسان ١٩٠٩ فاراد أمندسن ان يدركهُ بالطيران في العام الماضي فلم ينجح وكاد يذهب ضحيّة مقصوده فعاد سالمًا بعد عناء كبير وهو ساعٍ حاضرًا الى تكرير جملته الجويّة على منطاد كبير

٢ عادت السائحة الفرنساويّة مادام اسكندر داود نِيل من سياحتها في بلاد ثيبت حيث قضت ١٣ سنة متنكّرةً لابسة ثياب راهبات تلك البلاد فتعلّمت لغتهم ودرست اخلاقهم ونقلت كثيرًا من كتبهم وحصلت على نحو ٣٠٠ كتاب من مخطوطاتهم. وقد قاست مدّة سياحتها كل ضروب المشقّات إلّا انّها بصبرها وجلَدها وعلوّ همتها تمكّنت من كلّ المشاكل ونالت ما لم ينلهُ حتى الآن سيّاح الفرنج

٣ صعد الانكليزي ديوت (M. Dyott) لاوّل مرة الى جبل سان غاي (Sangay) الملقّب بهول جبال الأنْد البالغ علوّهُ ٥٣٢٥ مترًا وهو بركان لا يزال يقذف الحمم والنار. فتوغّل الجبلَ الى مئة متر من فوهة البركان واخذ صورهُ الفوتغرافية وعاد سالمًا

٤ اهدت الاميرة ماري اليونانيّة القسم الجغرافي من مكتبة والدها البرنس رولان بونبارت الى الجمعيّة الجغرافية الباريسية وهي تحتوي خمسين الف مجلّد بينها مجموعةُ ما نشرهُ اقدم السيّاح من عهد كريستوف كولمب الى عهدنا. وقد شغلت هذه المكتبة رفوفًا يبلغ طولها كيلومترين

٥ نزل بعض البحّارين الى قعر الاوقيانوس ووصفوا ما فيه من عجائب المخلوقات

وكانوا في ساعة مشاهدتهم لها يصفونها لاهل البرّ بواسطة التلغراف اللاسلكي

٦ حدثت آخرًا من ١٨ آذار الى ٢١ منهُ زلازل قويَّة في جهات وودس وجهات مصر وشعر بها كثيرون في بيروت. وقد أثبتها مرصدنا في كسارا وبلغت حركات الابرة الراصدة مبلغاً لم تدركهُ سابقاً. ما يدلّ على انَّ هذه الزلازل كانت غاية في الشدّة في مركزها

٧ قد اثنى مدير مرصد اوكسفرد هِمر (M^r Hemmer) على الخدم الجليلة التي ادَّاها اليسوعيُّون في شمالي اميركة في زمن الزلازل التي حدثت في العام الماضي. وكذلك مرصدهم في بوليفية المعروف باسم لا پاز (La Paz) قد نشرت المجلَّات العلميَّة ما لهُ من الفضل في رصد الزلازل. وبهذه المناسبة نذكر رصود مرصد كسارا في يوم الخميس ١٨ آذار وما بعدهُ اذ نشر اليسوعيُّون قبل ورود الانباء التلغرافية ما دلَّت عليهِ آلاتهم الرصديَّة من الحركات الغريبة وتعريفهم لوجهة الزلازل ومسافتها تقريباً

٨ وهنا لا بُدَّ ان نكرّر ذكر ذلك الكردينال الذي يُعدّ كرسول افريقية الكردينال لافيجاري اوَّل رئيس الساقفة على الجزائر فانَّهُ بكل صواب قد اهتزّ العالم المتمدّن لاحتفال السنة المئة لولادهِ وتعدَّدت المظاهرات لاكرامه. ولاسيما في الجزائر حيث نُصب تمثالهُ الجليل وهو الذي استحقّ ان يكرمهُ اعداؤهُ فضلاً عن اصدقائهِ. وعنهُ قال غمبتا وكرسبي انهُ قد أدّى لفرنسة خدماً لم يستطع نيلها جيشٌ كامل

علم الفلك

١ انَّ الادوات الفلكية الجديدة في مراصد الدول الكبرى قد بيَّنت في هذه السنين الاخيرة ان قطر الشمس يختلف فيبلغ معظمهُ كلَّ ثلث عشرة سنة. وبين هذه المظاهرات وظهور كلف الشمس علاقة فانَّ قطر الشمس يكون اعظم اذا قلَّ كلفها والعكس بالعكس

٢ ﴿اقنية المرّيخ﴾ عاد بعض المتطفلين على العلم وزعموا انَّ في السيارة المرّيخ اقنية مشتبكة ما يدلُّ على وجود بشر فيها. ففي العام الماضي اجتهد الفلكيَّان انطونيادي (M. Antoniadi) وبَلدِهْ (M. E. Baldet) في مراقبتها بنظَّارتيهما

الكبيرتين فلم يجدا اثرًا لتلك الاقنية المزعومة وانما تحققنا ان في المريخ تقاطيع عديدة من نتوءات وجبال واودية كما تُرى في القمر وفي ارضنا (راجع مقالة الاب رقانيـل نخله المنونة «التوازن في المريخ» في المشرق ١٩[١٩٢١] : ٥٩١ــ٦٠١

٣ ﴿ما وراء السيَّارة نبتون﴾ انَّ السيَّارة نبتون هي على آخر حـدود نظار الانسان بواسطة اعظم النظَّارات فيتساءل الفلكيُّون ألا يوجد سيارة أخرى في مـا وراءها وانَّما دفعهم الى ذلك انهم رأوا عند ظهور النجوم المذنبة حركات عند ابتعادها عن الشمس تدلّ على انَّ هناك سيَّارةً لم تدرسها العين البشريَّة حاضرًا في نظامنا الشمسيّ

٤ ﴿الاشعة الخضراء﴾ كتب حضرة الاب دي أنسلم في بيان وجود هـذه الاشعة مقالة حسنة (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٢١ــ٢٤) وبيَّن شروط حدوثها عنـد غيوب الشمس في أفق صافٍ ثمَّ سيبها . وقد افادتنا مجلَّة الطبيعة (La Nature 1925, 358) الفرنسوية انَّ هذه الاشعَّة الخضراء تتحوَّل في بعض الاحيان تباعاً الى اشعَّـة زرقاء ثمَّ بنفسجية بكل سرعة . وقد لحظنا مرارًا الشعاع الاخضر دون الشعاعين الآخرين

٥ ﴿المذنَّبات﴾ اخذت المراصد الفلكية في السنة ١٩٢٥ ظهور عدَّة مذنبات في الجوّ الَّا انها لبُعدها لم يلحظها العموم . وفي السنة الحاليـة ظهرت مذنَّبة اخرى اكتشفها الفلكي أنسور (M. G. E. Ensor) في ١٣ ك ١ وهي من ذوات الحجم الثامن بلغت معظم قربها من الارض في اواسط آذار وكان طولُ ذنبهـا يبلغ ١٥ درجةً طولًا . وقد رآها الناس ليلًا

الصنائع والفنون

١ في اواخر شهر نيسان من العام الماضي دُشّن معرض الفنون الصناعيَّة في باريس اشتركت فيه عشرون دولة اجنبيَّة وكان المعرض ممتدًّا على مسافة ٢٣ هكتارًا وبلغ عدد العارضين عشرة آلاف وشُيّدت هناك قصور بديعة لكلّ فنّ ولكل دولـة . وكان لسوريَّة ولبنان قسم خاصّ بقرب المستعمرات الفرنساوية . امَّا المعروضـات فكانت تتناول كلّ المصنوعـات الحديثة الداخلة في فنّ الهندسة والابنية وأثاث البيوت والحلى والصاغات والاقمشة والمسارح والجنـائن وادوات التعليم والطبـاعة

والعطريات والتصاوير . وعُرضت ايضاً المصنوعات الدينية والادوات الكنسية المختلفة فكانت تأخذ بالابصار بحسنها إلّا انّ معرض الرسالات في الفاتيكان فاق عليها برفرتها واشكالها

٢ وتبع هذا المعرضَ معرضٌ آخر اخصّ منهُ وهو معرض الصناعة الشرقية افتُتح في باريس في ٧ ايار وعُرضت فيهِ اجمل مصنوعات الشرق من الصين واليابان والعجم والعرب . وتولى المسيو دي لور، تنظيم معروضات سوريّة وتُحفها الصناعيّة فاستوقفت انظار الزوّار واثنوا الثناء الطيّب على اصحابها

٣ في ٢٧ ايار ول ١٩٢٥ تمّت السنة المائة على اوّل سكة حديديّة جرت بمحرّك بخاري بين مدينتي ستوكتون ودارلنغتون وكان القطار يقطع ٢٠ كيلومترًا في الساعة وهو يسحب ٣٨ عربة منها ٢٢ للركّاب والبقيّة لبضائع التجارة وللفحم . فجرت في انكلترّة بهذه المناسبة احتفالات اطرأوا فيها ستيفنسون مخترع المحرّك البخاري

٤ بلغ في العام الماضي ثمن ما اصطادتهُ الدول من السمك في مختلف البحار نيّفاً ومليارًا من الدولار ربحت منها الولايات المتحدة ٩٦ مليوناً ثم اليابان ٨٩ مليوناً ثم فرنسة ٨٥ م ثم انكلترة ٧٥ م ثم اسبانية ٧٢ م ثم روسية ٥٠ م ثم البرتغال ٣٧ م ثم اليونان ٢٨ ثم كندا ٢٧ ثم اسوج ٢٣ والدنيمرك ١٥ ونروج ١٤ ثم المانية ١١ ومثلها هولندة

٥ ﴿الصناعة الفينيقية﴾ انّ الحفريات التي اجراها العلماء في سواحل الشام منذ ستين سنة اظهرت لعالم الوجود آثارًا بنائيّة وهندسيّة عرف بها العلماء فضل الفينيقيين الّا ان الاثار الصناعية كالحلي والمصاغات والاسلحة والآنية البيتيّة من الخزف والبرونز والفضة والذهب كانت قليلة جدًّا حتى انّ المستشرقين انكروا انّ للفينيقيين فنًّا صناعيًّا خاصا بهم . إلّا ان الحفريّات الاخيرة في جبيل ابطلت هذا الزعم بوفرة المصنوعات التي ظهرت في مدافنها وقد عُرض كثير منها في متحف اللوفر وكتبوا عنها فصولًا شائقة وهم لا ينكرون انّ قسمًا منها نُقل اليها من مصر او من القفقاز او من انحاء اشور وبابل لكنهم ميّزوا بينها قطعًا عديدة لم يمكنهم نسبتها إلّا الى الفينيقيين لامتيازها عن سواها

﴿علم الطب﴾

١ قد اكتشف علماء المانية دواء ناجعاً لعلاج الدُّوام الذي كان يفتك بالوف مؤلفة من البشر في اواسط افريقية . وقد ارسل البلجيكيون في الكونغو نصف مليون فرنك ليبتاعوا منهُ لمستعمرتهم

٢ داء الكُزاز احد الادواء التي كانت تؤدي بصاحبها الى الموت بعد آلام فادحة . وانما الاصل المكتشف في فرنسة حديثاً يأتي بالشفاء التامّ . واكثر ما يوجد ميكروب الكزاز في التراب وفي روث الخيل وينتقل الى الانسان اذا مسَّ الارض بيدٍ او برجل مجروحة . وقد مات مؤخرًا في الاسكندرية بالكزاز ولدٌ كانت نقرتهُ دجاجة . والدجاج كما لا يخفى كثيرًا ما ينقر في التراب فتعلق بمنقاره جراثيم الكزاز

٣ قد ادّت اختبارات عديدة في هذه السنين الاخيرة اجراهـا الكيمويُّون والاطباء الى اثبات منافع عنصر اليود لشفاء عدّة امراض لاسيما داء الخنازير والغُدَد اذا شرب منهُ الاحداث نُقطاً معدودة وكذلك صبغة اليود مفيدة جدًّا لشفاء الجروح

٤ كان لاكتشاف مصل الطبيبَيْن النطاسيَّين كليميت وغيرين في باريس للوقاية من السلّ تأثيرٌ عظيم في انحاء البلاد فانّ اختبارهُ في جسم الاطفال في السنة المنصرمة أتى بنتائج باهرة شهد لهـا العلماء في انحاء شتى ورُقي بهِ الوف من الاطفـال حتى المولودين من والدين مسلولين وهي خدمة جديدة مشكورة لعلماء فرنسة الافاضـل ادّوها للانسانيَّة .

٥ في ١٧ كـ٢ اقيم في كوبنهاغن عـاصمة خطّ الاستواء تمثال جميل لفقيـد العلم العلّامة باستور حضر تدشينهُ رئيس الجمهورية ووزراؤها مع جميع سفراء الدول

٦ ﴿الجنائن الطبيَّة﴾ شاعت اليوم في بعض انحاء فرنسة عادة لبعض اهلها ان يخصّصوا قسماً من جنينتهم لزرع النباتات الطبية يستفيدون منها لصحتهم . وهي نعم العادة لو أنّها اهل بلادنا وفي لبنان عدّة حشائش تنفع في علاج كثير من العلل الطارئة على افراد العيال كالياسون والهندباء والخطميّ والقرّة والراوند والنعنع والقويسة والبابونج والكمّون وغير ذلك ممّا كان اجدادنا يفضّلونهُ على كثير من الادوية الجديدة الكيموية الغالية الثمن السيئة التأثير في بنية الجسم

مطبوعات شرقية جديدة

E. A. Wallis Budge : THE MUMMY. Handbook of egyptian funerary Archæology. 2d *edit. revised a. greatly enlarged. Cambridge, University Press*, 1925, *with numerous illustr. a. 33 pl., XXIV-513. pp. gr.* 8°

المومیا : دلیل اثار المدافن المصریة

كان العلّامة الاثري الانكليزي والمستشرق المصري المستر بودج نشر اوّلًا هذا الكتاب سنة ١٨٩٣ وفي نيّته ان يجعلهُ كمقدّمة عموميّة لوصف متحف فتزوليام (Fitzwilliam) في كمبردج (Catalogue of the Egyptian Collection) غير ان طول هذه المقدّمة اضطرّت منذ السنة ١٨٩٣ مطبعة جامعة كمبردج الى ان تُفرد لها مجلّدًا خاصًّا يصلح ان يكون كمقدّمة لاي متحف كان من الآثار المصريّة. فكان لهذا الكتاب رواج عظيم حتى ان بعض فصولهِ نُقلت في مصر الى العربية. وهذه الطبعة الثانية التي ظهرت مؤخرًا قد سبكها مؤلفها سبكًا جديدًا وادخل فيها المعلومات المستفادة من الاكتشافات التي جرت في مصر منذ السنة ١٨٩٣. ومعظم تصاوير الكتاب المرسومة في الالواح، وكلها جميلة ومتعدّدة، قد نُقلت عن كنوز المتحف البريطاني. فالكتاب وُضع قبل كلّ لافادة الانكليز وانما نصوصهُ اعمّ ولو نُقلت مثلًا الى العربيّة لأدّت خدماً مشكورة لطلبة العلوم المصرية الاثرية. وهنا لا بُدّ ان ننبّه القرّاء على انّ اسم الكتاب «المومیا» لا ينطبق تماماً مع مضمونهِ وكذلك اسمهُ الثاني «دليل آثار المدافن المصريّة» ليس بمضبوط. والبرهان على قولنا انّ المؤلف خصّص نيّفاً وماتتي صفحة من تأليفهِ لجغرافيّة مصر ولمناصر اهلها ولتاريخها ولأسماء ملوكها ولشرح رسومها الهيروغليفيّة ولاصول اللغة المصرية ولخطوطها المختلفة ولادوات كتابتها ولتنظيم صور هيروغليفها. فكل ذلك مقدّمةٌ عموميّة لدرس الاثار المصريّة. امّا المومیا فلا يبتدئ المؤلف بالكلام عنها الّا في الصفحة ٢٠٢ بالفصل المعنون «بالمومیا». ومنهُ الى آخر الكتاب المنتهي بالصفحة ٤٨٥ يبحث المستر بودج عن المومیا وعن الاثار المتوطة بها كطرائق المصريين في تجهيز المومیا ونواويسهم

والادوات المدفنيَّة وكتابها المعروف بكتاب الموتى الخ. لا بل يجد القارئ بحثاً واسعاً عن الخانس وبحثاً آخر عن التابوت وبحثاً ثالثاً عن اخصّ صور الآلهة المصريين الى العهد الروماني الخ. وخلاصة القول انَّ الكتاب ما خلا قسمهُ الهندسيَّ هو دستور لمبادئ علم الآثار المصريَّة ضمَّهُ المؤلف الى بحثهِ عن الآثار المدفنيَّة. ومن ثم يجب القول ان اسم الكتاب دون محتوياتهِ وهذا مما يشكرهُ لهُ العموم ولاسيما الطلبة. وعلى ما أرى ان هذا الكتاب لو نُقل الى العربيَّة او الى الفرنسويَّة لأفاد كثيراً الطلبة السوريين والمصريين فيهديهم الى ادراك علم يزيد كل يوم رقياً واتساعاً. وهذا ما دفعنا الى حضّ قرَّاء المشرق الى قراءتهِ واقتنائهِ على الرغم من ثمنهِ البالغ ٤٥ شلناً

الاب سبنسيان رزقال

Koester (August): Seefahrten der alten Ægypter Meereskunde. *Heft* 165, *Band XIV*, 9. *in*-8°,31 *pages illustrées*, *Berlin*, *Mittler u*, *Sohn*, *Prix* 1 *Mark*

سياحات قدماء المصريين النهرية والبحرية

درس الموسيو كوستر سياحات القدماء البحريَّة وهذا الكتاب قسمٌ من تآليفهِ في ذلك خصَّهُ بسياحة قدماء المصريين على نهر النيل الى البحر المتوسط وكان النيل منفذ بلادهم الوحيد وهو طويل المسيل في ارض قليلة العرض. فاتخذوا اوَّلاً لقطع النهر قوارب من البردي ثمَّ ابدلوها من الخشب فدخلوا البحر المتوسط وجروا في انحائهِ وتوصلوا بذلك الى معارف جغرافيَّة دوَّنوها في كتاباتهم الهيروغليفيَّة ج. ل

HUERNERS GEOGRAPHISCH-STATISTICHE TABELLEN aller Länder der Erde. 68. Jahrgang. Vollständig neubearbeitet und abgeschlossen in April, 1925 von Dr Eugen Würzburger prof. a. d. Universität Leipzig und Dr Walter Gravell, Oberregierungsrat in Berlin. L. W. Siedel u. Sohn, Mark 6

جداول هوبنر الجغرافيَّة والاحصائيَّة

انَّ جداول هوبنر الجغرافيَّة والاحصائيَّة اشتهرت في كل البلاد لما ضمَّتها صاحبها من المعلومات الوافية عن كل بلاد الدنيا واعمالها بحيث يطَّلع القارئ بلمحة عين عن كل ما يهمُّهُ من احوال كل دولة كنظامها السياسي وعدد اهلها وعناصرها وتجارتها

وصناعتها واقتصادها ومحصولاتها الوطنيّة وصادراتها وواردانها وقد تعدّدت طبعات هذه الجداول مرارًا . وهذه طبعة جديدة قام بها رجلان من علماء المانية الدكتور ڤورزبرج وغرائل وهي ادقّ واوفى من الطبعات السابقة انتهيا من وضعها في العام الماضي استنادًا الى ما جمعاهُ من المعلومات الرسميّة . فنحضّ الجميع لاسيما التجار على اقتباس فوائد هذه الجداول ودرس مضامينها

P. J. Hugon S. J. : Une carrière de Missionnaire. Préface de Mgr de Guébriant Supér. des Missions Etrangères. *Paris*, 1926, *Ed.* Spes, *Prix* 3 *fr*

سياق حياة المرسل الكاثوليكي

بنسبة معرض الرسالات في انڤانيكان السنة الماضية ألّف الاب اليسوعي هوغون هذا الكتاب الجميل الذي اودعهُ خلاصة اعمال المرسلين الكاثوليك في انحاء المعمور . فهو يصف كل رسالة فيعدّد مرسليها واعمالها المختلفة تبشير غير المؤمنين وخدمتهم في دينهم ودنياهم ويذكر نتيجة تلك المشروعات الجليلة وعدد المهتدين الى الايمان بواسطة المرسلين ثم يبيّن ما يكابدونه من الاتعاب والمشقّات خلاص تلك النفوس الضالّة . فكل هذه المعلومات جعلت كتاب الاب هوغون دليلًا امينًا يرشد القرّاء الى معرفة الرسالات ولعلّهُ يبعث في قلوب كثيرين من الشبّان الرغبة الى مجاراتهم في تلك الحلبة الشريفة . وقد صدّر السيد دي غبريان رئيس الرسالات الاجنبيّة هذا الكتاب بمقدّمة اثنى فيها على هذا التأليف واوصى به العموم ل . ش

Romano (Pietro):Storia dell'Educazione fisica in relazione coll'educazione generale. 2 *vols*, *in*-16,*illustrés*, *s. d.*, *Turin Paravia et C^ie*, *Prix* 13+26 *Lires*

تاريخ تربية الجسم المادّية ونسبتها الى التربية العمومية

انّ تربية الجسم للاحداث والشبيبة من الامور المهمّة في المعاهد العلميّة وغيرها . وهذا كتاب مخصص بهذا البحث كتبهُ احد اعضاء جامعة توريڤو الذي عُهد اليه القسم الارتياضي من تربية الناشئة . وقد اهدى كتابهُ رئيس حكومة ايطالية المسيو موسوليني . والكتاب في جزئين يحتويان ما شاع من هذا القبيل عند اليونان والرومان ثمّ بين

الشعوب التي قامت بعدهم ويروي ما كتبهُ القدماء في ذلك. ثمَّ يفتش عن طرائق هذا التهذيب والرياضات المختلفة التي كان كل شعب يفضلها لتنمية الجسم وتعزيز قواه جيلاً بعد آخر. ثم يتسع في بيان منافع هذه الرياضات البدنيَّة ليصحَّ ما قيل في كمال الانسان انهُ «عقلٌ صحيح في جسم سليم» ج. ل

P. TÉQUI, LIBRAIRE-EDITEUR, 82, RUE BONAPARTE, PARIS, VI^e^- En vente à la librairie CHÉHAB à Beyrouth. I. Th. Mainage O. P.: IMMORTALITÉ, l'UNIVERS, LES RELIGIONS, etc. Prix 7 f^s^ = II. Abbé J. Vernhes: AMOUR ET SOUFFRANCE, in-32, Prix 3 f^s^ = III. Abbé Rouzic: LES SAINTS ORDRES, in-12, Prix 12 f^s^ = IV. Lajoie: TRANSFIGURÉE, 3^e^ éd. in-12 Prix 2 f^s^ = V. Riche: LES SAVANTS SONT-ILS DES CROYANTS? in-12 5 f^s^ = VI L'APOSTOLAT MISSIONNAIRE DE LA FRANCE. Conférences à l'Institut Cath. de Paris. in-12, Prix 7 f^s^ = VII. R. P. Dom Louismet: INITIATION MYSTIQUE. in-18. Prix 1 f^s^ = VIII. R. P. Ed. Hugon O. P.: LA FÊTE DE J-C. ROI. in-12, Prix 1 f., 50 = IX. Tissier (M^r^): LE CINQUANTENAIRE DE L'INSTITUT CATH. DE PARIS 1925, in-8°, Prix 2 f^s^ 50

تسعة كتب لاهوتيَّة وتاريخيَّة ودينيَّة

اهدانا المسيو تيكي الطبَّاع في باريس هذه التآليف الجديدة التي عُني بطبعها:
(١) اولها خطب دينيَّة لاحد كبار الواعظين الاب ميناج الدومينكيّ مدارها على حقائق فلسفيَّة واجتماعيَّة ودينيَّة فسَّرها الواعظ امام جمهور عظيم من الكاثوليك والزنادقة ليثبت الاوَّلين في ايمانهم ويُقنع الآخرين بضلالهم = (٢) (الكتاب الثاني) للكاهن قرنس ألَّفهُ لتعزية المرضى المتكوبين ليعلِّمهم كيف يستفيدون من اوجاعهم لخلاص نفوسهم ونفوس قريبهم مبيِّناً لهم ان آلام هذه الحياة منَّةٌ عظيمة نفوز بها نعم الله وخيراته = (٣) الكتاب (الثالث) تأليف لطيف للاب روزيك الشهير وصف فيهِ سرّ الكهنوت والدرجات المقدَّسة اعداداً للاكليريكيين المرشحين لهذا السرّ العظيم وبياناً للشبيبة العالميَّة ما يخوّلهُ الكهنوت من الشرف والمجد لذويهِ في هذا العالم ومن السعادة في الآخرة = (٤) الكتاب (الرابع) ترجمة فتاة عرفت عظم كنوز القربان الاقدس فثابرت على تناولهِ كل يوم حتى بلغت قمة القداسة بين هموم العالم = (٥) الكتاب (الخامس) من افضل المصنفات لافحام الزنادقة الزاعمين انَّ العلم

هو مضادّ للايمان. فحضرة الاب «ريش» جمع اسماء عدد عديد من اعظم العلماء الذين كذّبوا بدينهم وحسن سيرتهم هذا الزعم الباطل = (٦) (الكتاب السادس) مجموعة عشر محاضرات لمؤلفين مختلفين في وصف عجائب الله في الرسالات الكاثوليكيّة الاجنبيّة = (٧) (الكتاب السابع) لراهب بندكتي شرح فيه سفر نشيد الاناشيد وبيّن انّ ذاك الكتاب هو وصف سرّيّ لتقرّب النفس من الله والاتحاد به فتحيا بالله كما يحيا الله بها ويقدّسها ويرفعها الى سموّ جلاله الالهي = (٨) (الكتاب الثامن) للاب الدومنيكي هوغون يحتوي تعليمات مستوفية عن عيد السيد المسيح الملك الذي أُنشئ حديثاً = (٩) (الكتاب التاسع) وصف الحفلات اليوبيليّة التي أُقيمت في باريس في تشرين الثاني من العام الماضي اكراماً للجامعة الكاثوليكيّة الباريسيّة ل.ش

G. Gautherot : Le monde communiste. 1 *vol*, *in*-16, *Paris*, *Ed. Spes*, 1925, *Prix*, 12 *f*°

العالم الشيوعي

ما هي الشيوعيّة ؟ ما اصلها؟ ما فصلها ؟ ما هي البلاد التي شاعت فيها او تهدّدتها ؟ تلك مسائل كثر فيها القال والقيل مع اختلاف عظيم في آراء الكتبة. والمسيو غوتّرو احد الذين تخصّصوا لدرس الشيوعيّة . وكتابهُ هذا نتيجة ابحاثهِ يتتبّع فيه آثار الشيوعيّة وتعاليمها ويستقري البلاد التي أُصيبت بهذا الوباء المجحف وخصوصاً روسيّة وبلاد آسية التي مُنيت بهذا الداء ثم افريقية الشماليّة واميركة ويختم باوربّة المتهدّدة بسيف هذا العدوّ الرهيب. فجاء تآليفاً ممتعاً لا يُستغنى عنهُ في درس الشيوعيّة ج.ل

Carlo Caviglione: Bibliografia delle opere di Antonio Rosmini, disposte in ordine cronologico. *vol*. *in*-16, *Turin*, *Paravia et C*ie 1925, *Prix*, *Lires* 9,50

فاتحة تآليف انطون روسميني

انطون روسميني كاهن ايطالي ازهر في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر (١٧٩٧ــ١٨٥٣) وألّف تآليف متعدّدة ثمّ دخل في أيّام الحبر الاعظم بيوس التاسع في وزارة الكونت روسّي كوزير المعارف. وبين منشوراته الفتّ والسمين ولاسيما في ما رواهُ في كتابهِ عن اصل معارف الانسان فهو يزعم انّ مبدأ كل معارف البشر اصلها

معرفة مجرّد الوجود عموماً . وقد ردّ على وهمهِ كثيرون . وهنا قائمة تآليفهِ مرتّبة على نظام تاريخ نشرها منذ السنة ١٨١٢ وعددُها لا يقلّ عن ١٣٣ تأليفاً . وجامع هذه القائمة يُعنى بنشر ما لروسيني من الآثار . والقائمة هي العدد الخامس من تلك المآثر

Percy Edwin Spielmann: LA GENÈSE DU PÉTROLE, traduit de l'anglais par E. E. WIENER, major du Génie belge, *in*-12, 1926, *Prix* 6 *fr. Paris, G. Doin et C^ie*

اصل غاز البترول

قد توفّرت المنشورات التي تبحث عن اصل البترول على قدر ازدياد رواجهِ في العصور . ومع وفرة ما وُجد منهُ لم يزل اصلهُ في البلاد مجهولاً وكثيرًا ما وَهِمَ الكتبة في بيان تكوُّنهِ . ومؤلف هذا الكتاب ينتقد آراء مَن سبقهُ ويزعم ان احقّ ما يقال في اصل غاز البترول انهُ ناتج في قلب الارض من آثار حيوانات آليّة وُجدت في قديم الزمان ثم تحوّلت الى بترول وتحليلها انما يؤيّد هذا الرأي ويبطل مزاعم قدماء الكتبة الّا افرادًا منهم . وهذا الكتاب اصلهُ بالانكليزيّة نقلهُ المسيو ڤيتر فربح بهِ شكر الفرنسويين الباحثين عن الآثار الجيولوجيّة القديمة ج . ل

L'archimandrite Denis Kfoury O. B., Beyrouth, 1926, pp. 63

عصة الرهبانية الباسيلية الملكية

سبق لنا في العام الماضي (المشرق ١٩٢٥ ص ١٥١) ذكر مقالة صغيرة تحت العنوان الفرنسوي المذكور اعلاه لحضرة الارشمندريت ديونيسيوس كفوري روى فيها باختصار ما تتمتّع بهِ الرهبانيّات الباسيليّة الملكيّة من العصة بازاء السلطتين البطريركية والاسقفية . وها هوذا قد عاد الى هذا الموضوع فأتسع بهِ بحيث يظهر لكلّ عيان انّ العصة المذكورة التي بيّن حضرتهُ معناها واقسامها وصورتها وطريقة منحها واتساع سلطتها قد نالتهُ الرهبانيات المشار اليها بقوّة براءة الحبر الاعظم بندكتوس الرابع عشر (Ecclesiæ Catholicæ regimini) المؤرخة في ١١ حزيران ١٧٥٧ التي بها أثبت رسوم الرهبانيّة الحنّاوية الشويريّة وأبطل كل ما ثماكسها . ومن يعرف هذه الرسوم يجد فيها باجلى برهان ما مُنحت من العصة عن السلطتين البطريركية والاسقفية في كل ما يختص بالسيرة الرهبانية وتفويض امر الرهبان الى رؤسائهم والى مجامعهم .

وقد فصّل حضرة الارشمندريت كل ذلك مستنداً الى نصوص قوانين الرهبانيّة. هذا ما خلا بعض الظروف المنصوص عليها بالحق القانوني منها سلطة البطريرك والاساقفة على الرهبان في تدبير رعاياهم اذا اتخذوهم كرعاة النفوس وكذلك في الامور الطقسية وفي توزيع الاسرار خارجاً عن اديرتهم وحكمهم اذ ذاك عليهم في تصرّفهم. وكل ذلك واضح بما اورده حضرتهُ ويزيل كل ريب من هذا القبيل. فلا جرم انَّ هذا التفسير سوف يفيد الدراوين الايجابية عند التباس الامور ي. م

Richard Bell : The origin of Islam in its christian environment *in-8°, 1926, Macmillan and C°, London, Prix 10/6*

اصل الاسلام ومحيطهُ النصراني

هذا كتاب يسرُّنا التوصية بهِ كل قرّائنا. يبحث فيهِ مؤلفهُ عن رسول المسلمين وما عرفهُ من احوال النصرانيَّة. فتبيَّن لنا انه احاط بموضوعهِ علماً ووقف على ما كتبهُ العلماء قبلهُ في هذا الشأن بل اتى على معلوماتهم. وهو قبل كلّ يروي تاريخ النصرانيَّة في البلاد المجاورة لجزيرة العرب ثم يشير الى نصارى اليمن ونفوذهم في العرب عموماً ثم يذكر موقف نبيّهم ازاء النصرانية. ويتبعهُ فصلان الاوَّل في حالة النصارى بعد الفتح العربي والثاني في نفوذ النصرانية على مبادئ الاسلام. وهذا الكتاب واضح العبارة ذو معلومات ثابتة تدلُّ على انَّ صاحبهُ وقف على الموارد الاصلية وان لم يصرّح بذكرها الاب هنري لامنس

قوانين المجمع اللبناني

اقتطفها وجمعها ورتّبها الخوري الياس الزيناتي

طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٤٠٠ × ٢٦)

المجمع اللبناني دستور الطائفة المارونية الكريمة هو اول ما اثبتتهُ الكنيسة الرومانية من المجامع الطائفية الشرقية. وعلى منوالهِ وُضعت المجامع : السرياني الكاثوليكي في الشرفة والقبطي الكاثوليكي في مصر والارمني الكاثوليكي في رومية فكان لهُ التقدُّم بحسن تنظيمهِ وضبط ابوابهِ. وكان الطيب الذكر المطران

يوسف نجم أدّى خدمةً جليلة للاكليروس الماروني بنقل اعماله الى العربية على النسخة اللاتينية المصدّق عليها الحبر الاعظم وطبعها في مطبعة الارز سنة ١٩٠٠ . على انّ في هذا الكتاب الضخم قسماً نظريًّا يعرفهُ الكهنة بدرسهم للاهوت فهم احوج الى قسمهِ العمليّ الذي بهِ يقفون على واجباتهم في خدمة رعاياهم . فانتدب سيادة المطران الجليل اغوسطينوس البستاني رئيس اساقفة صيدا والزهر الرسولي على الرهبانيات المارونية الثلث الكلي الشرف والاكرام حضرة كاتم اسراره الخوري الياس الزيناتي الى ان يقتطف تلك القوانين الحكيمة ويجمعها ويرتبها على طريقة الحق القانوني الجديد فقام بهذا العمل احسن قيام واستخرج من اعمال المجمع ٨٩٠ قانوناً تشمل كل ابواب الرسومات الدينيّة الواجب حفظها في قانون الايمان والمدارس والدروس ومنح الاسرار والامكنة والازمنة المقدّسة والاشخاص من اكليريكيين ورهبان وغير ذلك من المعاملات الخاصّة بالدين مع عدّة ذيول وملحقات وفهرس واسع على طريقة حروف المعجم . فجاء الكتاب قريب المنال واضح البنيان لا يستغني عنهُ كهنة الطائفة المارونية بل يحسن بجميع الاكليريكيين مراجعتهُ لفوائده الشاملة لعموم الاحوال الدينية فما لنا الّا ان نشكر الذين ساعدوا على نشره ل . ش

مقالة في سورية

بقلم غبطة السيّد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي

طبعت في مجلة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص٣٦)

لا يجهل احد ما تحفة الحبر الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني الكلي الطوبى من العلم الواسع بالآثار الشرقيّة ولاسيما الاراميّة والسريانيّة . ومن ثمّ نشكر غبطتهُ اذ شاء ان يُطلع ابناء الوطن على كنوز معارفهِ التي اطرأها المستشرقون بطائفة تآليفهِ العديدة . وها هوذا باشر بنشر مجلة الآثار الشرقيّة التي نؤمل منها منافع جمة لانارة الاذهان ولاحياء مفاخر البلاد . وكفى شاهداً على ذلك المقالة الاولى التي نشرها عن سوريّة فضمّنها خلاصة ما يُعرف عن موقعها وحدودها وتعاليمها ومناخها وملوكها وديانة اهلها ولغتهم وخصوصاً عن اللغات الساميّة وآثارها وآثار لغة السوريين الاصليّة

الباقية حتى اليوم. وغبطته ادرى بكل ذلك من سواهُ وقد تجوَّل مرارًا في انحاء اوربَّة واطَّلع على خزاين كتبها فضلًا عمَّا جمعهُ في مكتبته الخاصَّة من المخطوطات النادرة. ولذلك قد اقبلنا على النظر في هذا السفر الجليل بكل شوق. وقد اصاب غبطتهُ (ص٢١) بترقية الآثار الخطِّيَّة الفونيقية الى القرن التاسع ق.م بل ترقى الى القرن الثالث عشر كما تبيَّن بالناروس الملوكي الذي اكتشفهُ في جبيل العلَّامة الاثري المسيو مونته وهو اليوم في متحف بيروت (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٧٩). وكذلك تشرنا بالتصوير اقدم الكتابات العربية المعروفة قبل الاسلام اعني النبطيَّة التي وُجدت في غارة المؤرخة سنة ٢٢٣ لبصرى (٣٢٨ للمسيح) وكتابتَي زبد (٥١٢م) وحرَّان من اعمال حوران سنة (٥٦٨ (راجع النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص١٥٢ــ١٥٧) فلا غرو ان كتابات غبطتهِ ستصيب استحسان كلّ العلماء ل.ش

فرض عيد مار ايليَّا الحيّ حسب الكنيسة السريانية المارونية

طُبع بالمطبعة المارونية في حلب سنة ١٩٢٥ (ص ٣٠٦)

انَّ الطائفة المارونيَّة في حلب مدينةٌ للقديس والنبي العظيم ايليا بما نالتهُ من النعم السابغة بشفاعته منذ القرن الخامس عشر. فأحسن اذن رئيس اساقفتها الجليل اذ اخرج من خبايا المكتبة المارونيَّة الغنيَّة بمخطوطاتها هذا الفرض الذي ألَّفهُ احد مشاهير ابناء الطائفة الطيِّب الذكر القس عبد المسيح نيان وقدَّمهُ لصاحب الغبطة البطريرك مار الياس الحويك الكلي الطوبى ليجيز طبعهُ ونشرهُ. فاجاب غبطتهُ الى ماتمسهِ بطيب الخاطر وسمح لكل كنائس طائفته بتلاوته يوم عيد القديس في ٢٠ تموز. فلا غرو من ان تزيد عبادة الموارنة بتلاوة هذا الفرض الجميل نحو القديس ايليَّا شفيع بطريركهم وشرف ملَّتهم. والكتاب مطبوع بالسريانيَّة طبعًا حسنًا ومعظم صلواته مشروحة في العربيَّة بالحرف الكرشوني الَّا القراءات من الكتاب المقدس وترجمة القديس. وقد لحظنا في السريانيَّة بعض اغلاط طبعيَّة من ابدال حرف بحرف (ص ٦ ܗܘܢ ليس ܗܘܘ) وبعض تشكيل قليل الضبط ما لا يخفى عن العارفين. وكنا وددنا لو تُرجمت الى العربية الحسنة الواقعة في الصفحات ١٧ــ٢٣

وفيها كلمات عديدة مستعارة من اليونانية لا يسهل فهمها على من يجهل تلك اللغة ولعلّ بعضها مغلوط من اصله والله اعلم

في ظلال الحقيقة وهو بحث في حقيقة الوجود

بقلم نجيب اشعيا

طبع في مصر في المطبعة التجارية سنة ١٩٢٦ (ص ١٣٦)

حقائقُ لا شك فيها ممزوجةٌ بآراء واهنة ! فلسفةٌ تخالطها السفسطة ! فهذا ما يمكننا ان نقوله عن هذا الكتاب الذي موّه صاحبهُ بظواهر الحقّ مزاعم عديدة باطلة. فانّهُ يردّ كل ابحاثهِ عن المخلوقات الى «العنصر الاصيل الفرد» وهو لم يوقفنا على ما يعني بهِ. يزعم انّ كل شيء في العالم مرجعهُ الى السلبيّ والايجابي واقوالهُ فيها ملتبسة معمّاة لا يُستخرج منها حقيقة صريحة. بل كثيرًا ما تُشعر اقوالهُ بآراء الماديين ومذهب التحوُّل. كفى لبيان ضلاله عنوان فصلهِ الثالث الذي يحاول فيهِ اقناع القرّاء على انّ لا خير في العالم ولا شرّ وانّما ذلك من الامور الظنّية والخيالية وكم يخلط بين الشرّ الماديّ والشرّ الادبي ويساوي فيها الانسان والبهيمة. يشرح بعض آيات الكتاب المقدّس شرحاً فاسدًا منافياً لتعليم الآباء والمعلمين كشرحهِ لسبب تيه بني اسرائيل مدّة اربعين سنة (ص٩٨ــ٩٩) وسبب سقوط اسوار اريحا (١١٧) ينسبهُ الى صوت الابواق خلوًا من المعجزة. وخلاصة القول اننا لا يمكننا ان نوصي بهذا الكتاب الذي يحتوي السمّ في الدسم

ل. ش

مذكرات تاريخية

بقلم احد كتّاب الحكومة الدمشقيين

نُشر في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢٦ (ص ٢٥٥)

هذه المذكرات التاريخية التي تولى نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا المخلصي عن نسخة مكتبة الكلية الاميركانية في بيروت صنّفها شاهد عيانٍ من كتّاب الحكومة المسيحيين الدمشقيين ووصف فيها باللغة العامية وصفاً مدقّقاً ما حصل من

الامور في الشام منذ السنة ١٨٣١ حيث ثار اهل دمشق وحُرق قسم كبير منها وقدم ابراهيم باشا لفتح سورية الى السنة ١٨٤١ بنهاية الحملة المصرية ورجوع حكم تركيا. فهناك معلومات لا يجدها الباحث في التآليف المطوّلة وتبيّن ما طُبع عليه اهل الشام من تباين الاخلاق والافكار وتسارعهم الى المشاغبات والفوضى وضروب التعدّيات. وفي محاربة ابرهيم باشا للدروز ما يشبه تماماً ما يجري اليوم من ثورتهم ومقاتلة فرنسة لعصاباتهم. وفي الكتاب تفاصيل عن قتل اليهود للاب تومـا الكبوشي وخادمه تُثبت ما لدينا عن ذلك من الاستنطاقات الرسمية. فنشكر حضرة الخوري لنشره هـذا الاثر الجميل. ويا ليتهُ اضاف اليه فهرساً للاعلام في آخره ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — منشور بطريركي في السنة اليوبيليّة ١٩٢٦ — هو منشور غبطة السيد البطريرك مار الياس المعوّك الى طائفته الكريمة يُعلن فيه تمديد اليوبيل العظيم الذي منحهُ قداسة الحبر الاعظم الى العالم الكاثوليكي السنة ١٩٢٦. طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٦ (ص ٣٠)

٢ — كيرلس التاسع — هو الكرّاس الذي نشرهُ صديقنا جبل افندي البحري بمناسبة انتخاب صاحب النيطة السيد كيرلس مغبغب البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي على طائفة الروم الكاثوليك مع خلاصة ترجمته. طبع في المطبعة الزهرة في حيفا (ص ١٥)

٣ — صدى كتاب تنوير الاذهان في تاريخ لبنان — وضعهُ جناب مؤلفه ابراهيم بك الاسود وضمّنهُ ما جاء في المجلات والجرائد استحساناً لكتابه السابق وصفهُ. طبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٦ (ص ٣٦)

٤ لمحة من اعمال جمعية قلب يسوع الاقدس المبرية اليافيّة السنة الثالثة ١٩٢٥ طبع في المطبعة البطريركية اللاتينية سنة ١٩٢٦ (ص ١٧)

شذرات

الاثر الدفني البراني في بيروت (١) نشرنا في عدد شباط من مجلة المشرق

1) P. René Mouterde S. J. : Inscription hébraïque du XI^e siècle à Beyrouth

(ص ١٢٣ــ١٢٩) كتابةً عبرانيَّة من القرن الحادي عشر للميلاد كنَّا زعمنا انَّها اكتُشفت في بيروت استنادًا الى قول من أرشدنا اليها. والصواب انَّ تلك الكتابة المدفنيَّة وُجدت في جبيل فنشرها العلَّامة كلرمون غانو دون رسم صورتها في نشرة البعثات (Archives des Missions, 3e série. XI, 1885 pp.242-3, n° 128) وقد قابلنا قراءة حضرة الاب سبستيان رونزفل على قراءة العلَّامة المذكور فلم نجد بينهما اختلافاً إلَّا في التاريخ المرقوم في سطرها الرابع فان المسيو كلرمون غانو قرأ سنة ٥١٤١١ للسلوقيين الموافقة للسنة ١١٠٠ للميلاد والظاهر انَّهُ خُدع بثقب في الحجر يشبه حرف اليود (ٱ) العبرانية تراهُ في رسمنا الَّا ان كتابة اليود الموجودة في السطر الاوَّل تختلف عن رسمه عنا. فالرسم والصورة يقتضيان القراءة التي فضَّلناها اعني ١٤٠١ الموافقة لسنة الميلاد ١٠٨٩ــ١٠٩٠. ومن ثمَّ اتى تفسيرنا مع تصويرنا للاثر بافادة جديدة الاب رينه موتردِ.

﴿رأي المكتب الطبي الفرنسوي في العملية القيصرية﴾ احبَّ جناب الدكتور فؤاد غصن ان يقف على رأي مكتبنا الطبي الفرنسوي في امر العمليَّة القيصرية وقتل الجنين في احشاء والدته ان كان ثمَّ وسيلة لنجاة والدته. فعرضنا القضيَّة على كنشليار المدرسة فاجابنا باسم عمدة المكتب: (اوَّلاً) انَّ مسألة قتل الجنين الحيّ في احشاء امِّهِ لخلاص الامّ اصبحت اليوم مسألة نظريَّة ليس إلَّا. (ثانياً) أيجوز قتل الجنين على افتراض انَّهُ الوسيلة الوحيدة لخلاص الامّ هذا امرٌ منوطٌ بالواجب الادبيّ. (ثالثاً) انَّ الطبيب بازاء الضمير لا يستطيع ان يحيد عن الواجب الادبي. (رابعاً) ان تحظير قتل الجنين مبني على اساس القوانين الادبية. والكنيسة بمنعه استندت ايضاً الى هذه البراهين العقلية التي لا تلزم الكاثوليك فقط بل عموم البشر. (خامساً) وكادت مسألة قتل الجنين لا يعبأ بها لانَّ العمليَّة القيصرية اصبحت اليوم اسهل وآمن طريقة لنجاة الجنين وامِّهِ معاً (كما ذكر في المشرق جناب الدكتور امين الجميّل)

﴿رواج التليفون في اميركة﴾ انَّ المشتركين في الولايات المتحدة بادوات التليفون يبلغون حاضراً ١٥،٣٦٩،٠٠٠ بالنسبة الى ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من السكَّان. والحكومة تجني من هذا الاشتراك نحو مليارين من الفرنكات (١٠٢،٠٠٠،٠٠٠ دولار) واما عمَّال التليفونيَّة فهم بنسبة واحد لتسعة واربعين مشتركاً

﴿سيدة فاطمة﴾ فاطمة قرية من قرى بلاد البرتغال ورثت اسمها من قدماء العرب. ففي السنة ١٩١٧ كان ثلثة رعاة صغار بنتان وصبي يرعون الماشي اذ ظهرت لهم العذراء مريم في ظروف تشبه ظهورها في لورد وتكررت هذه الرؤى من ١٣ ايار الى ١٣ تشرين الاول. وحتى الآن لم يحكم رؤساء الكنيسة في صحة هذه الرؤى على انّ البرتغاليين منذ ذاك الحين اخذوا يتقاطرون الى ذلك المكان ليكرموا فيه العذراء مريم بتلاوة اسرار وردّيتها. واكثر وفودهم اليه في الثالث عشر من كل شهر ولاسيما في ١٣ ايار وفي ١٣ ت ١ اي اوّل عهد الظهور وآخره. وفي السنة ١٩٢٥ بلغ عددهم في هذين اليومين نيّفاً ومئة الف وقد روت الجرائد نعماً فريدة نالها بعض الزوّار كشفاء مرضى وارتداد خطأة الى التوبة

﴿الصحافة الكاثوليكيّة في المانية﴾ قد ادرك الكاثوليك في المانية ما للصحافة من عظم الشأن والنفوذ لنشر مبادئهم والدفاع عن دينهم . ولعلّها من هذا القبيل تفوق على سواها من البلاد. فانّ فيها حاضراً بموجب الاحصاء الاخير ٣١٥٢ جريدة بينها ٤٥١ جريدة كاثوليكيّة لا يكتفي اصحابها بمجرّد اسم الكاثوليكي بل يجاهدون في سبيل الايمان حقّ الجهاد منها في باڤارية ١٣٢ جريدة كاثوليكية وفي بروسية الرينيّة ١٠٠ وفي ڤستفالية ٦٦ وفي بادن ٣٩ وفي ڤورتمبرغ ٣١ الخ. ويا ليت جرائدنا الكاثوليكية تجاريها في روحها ولا يكتفي اصحابها باسم الكاثوليك دون جسمه

﴿الزواج في تركيا﴾ قرّرت حكومة انقرة بان تقام حفلات الزواج على طريقة بسيطة جدًّا فمنعت ان تُهدى الهدايا للزوجين وان لا يزيد عدد العجلات المشيّعة للعروس على خمس ليس إلّا وان يُكتفى بيوم واحد لحفلة العرس بدلاً من ثمانية ايّام وان لا يُدعى الى مأدبة العرس غير الاقارب والمدعوّين دعوةً رسميّة اليها. ومما صدر فيه امرهم ايضاً ان تُسفر النساء عن وجوههنّ وان ينبذنَ لبس الحجّرات

﴿جزيرة الاتلنتيد﴾ وصفنا سابقاً في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] ٧٤٩) كتاباً للعلّامة الكاهن مورو في هذه الجزيرة واراء العلماء في صحة وجودها او نفيه وانّ البعض جعلوا موقعها في جنوبيّ اميركة. ولعلّ ظن هؤلاء الاخيرين كاد يتحقّق بما وجد في جهات بوليڤية من آثار مدن ترقى الى الوف من السنين تشكلت اليوم بمئات لمباشرة حفريّات توقف على تلك الآثار التي طُمست بطول الاجيال

﴿إلهة سورية في آثار رومية﴾ وُجدت آخرًا في رومية على جبل الجانيكول آثار قديمة كان بينها اثر سوري وهو تمثال الالهة «فورينا» (Furina) ومعناها الهائجة كان السوريون يكرمونها ونقلوا عبادتها الى رومية . والإلهة تُرى مضجعة يحيط بها نقوش بيضيَّة الشكل

﴿تمثال توما اديسون﴾ توما اديسون هو العالم الاميركي صاحب الاختراعات الكهربائية المتعددة فاراد عملة الكهرباء ان يقيموا لذكره في نيويرك قصرًا ذا عشرين طابقًا وينصبوا في واجهته تمثالهُ

﴿فقيدان عزيزان﴾ فقدت رسالتنا السورية في ١٣ من شهر آذار الماضي رجلًا من نخبة مرسليها الاب فرنسيس تورنيبز توفَّاه الله بعد اوجاع احتمل مُضضها بصبر عجيب . والمرحوم وُلد في فرنسة سنة ١٨٥٦ وقضى معظم حياته الرهبانية في تعليم الفلسفة واللاهوت والتاريخ الكنسي وقد خدم رسالتنا السوريَّة ٢٤ سنة بغيرة ونشاط فتخرَّج عن يده عدَّة كهنة وطنيين . وكان الاب كاتبًا بارعًا لهُ آثار عديدة في الافرنسية طبعت فاصابت رواجًا وتكرَّر طبعها وكان الفقيد مشغوفًا بتاريخ الارمن وآثارهم فنشر اخبارهم في كتاب ضخم وفي المجلَّات وفي دوائر المعارف الاوربية . واثبتنا لهُ في المشرق مقالات شتى تنطق بفضله وكان من الشعراء المجيدين وصديقًا للشاعر الشهير فرنسوا كوپه

وفي ١٩ من الشهر لبَّى الدكتور حبيب الدرعوني دعوة ربهِ فات ميتة الابرار مستعدًّا اتمَّ الاستعداد لآخرته حتى سمعنا كثيرين يتمنَّون ان يختموا مثلهُ حياتهم . وقد عرفنا الفقيد منذ نعومة اظفاره وهو تلميذنا فلم نجد في كل حياته إلَّا ما يستوجب الثناء والشكر . وكان طبيبًا نطاسيًّا يتقاطر المرضى الى بابهِ او يستدعونهُ واثقين بتمام علمهِ وورعهِ وكان يخدم الفقراء منهم بتفانٍ ونزاهة . وكان ايضًا كاتبًا مجيدًا ذكرنا في المشرق بعضًا من نفثات قلمهِ . وكان ينظم ايضًا وقد أطلعنا على شذرات من نظمهِ لكتاب الاقتداء بالمسيح . ولعلَّنا ننشرها اذا وقفنا عليها . وقبل هذين الفقيدين العزيزين بأيام نقل اللهُ الى جنان خلده زهرةً غضَّة وهي كريمة احد اصدقائنا جناب حبيب افندي السابكي المدعرَّة اولنا قطفها ربُّها قبل ان يُذوي سَموم العالم محاسنها

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الاكليريكيين ابن هي المراسلات المعروفة بتل العمارنة وكم هي وفي اي زمان واي لغة كتبت ؟

مراسلات تل العمارنة

ج هذه المراسلات الجليلة الافادة لتاريخ سورية القديم ويبلغ عددها ٣٦٠ رسالة معظمها في متحف برلين (٢٠٠) ثم في المتحف البريطاني في لندن (٨٠) وفي متحف بولاق(٢٠) . وهي لمراسلات كُتبت في عهد الملكين امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع منها ما كتبهُ الفرعونان الى عمالها ومنها من العمال الى الفرعونين . وهي تحتوي على تاريخ سورية وخصوصاً سواحل بحر الشام من السنة ١٤١٠ قبل المسيح الى ١٣٦٠ اعني نحو مئة سنة قبل خروج بني اسرائيل من مصر تحت قيادة موسى النبي

س وسأل جناب يوسف افندي صفير ماذا يوجد من الصحة في ما ورد في مجلة الضياء عن الهنود المعروفين بالجوغي وما يصنعونهُ من الاعمال العجيبة؟

الجوغي وعجائب اعمالهم

ج ان الجوغي في الهند بثابة بعض طوائف الدراويش في تركية والعجم . فانهُ اعمالهم شعوذات يساعدهم على ذلك تهييج عصبي يبلغون اليهِ بضروب من الحيل كالحركات البدنيَّة والرقص وكالاستسلام . والاستنوام وكبعض العقاقير يشربونها او يطلون بها أبدانهم ومن المحتمل ايضاً ان السحر في بعض اعمالهم نفوذاً

س وسأل احد الادباء المسلمين ايمكن النصارى ان يثبتوا كون الانجيل الذي هو في ايديهم اليوم كان كما هو قبل الاسلام .

صحة الاناجيل المقدسة

ج يمكن اثبات صحة اناجيلنا حتى القرون الاولى للنصرانيَّة دون تغيير جوهري فيما بعدهُ براهين . ولأن هذا الامر يحتاج الى بعض الايضاح نحيل السائل الى ما مرَّ من هذا القبيل في المشرق في مقالة للاب المرحوم انطون رباط طُبعت على حدة تحت عنوان «الانجيل الشريف» ل . ش